كتاب الهلال

أكتوبر.. 40 سنة

الحرب

الجيش المصرى قاهر الأعداء والإرهاب



ملاك ميخائيل

المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع 10 ، 16 ش كامل صدقى الفجالة ،
4 ش الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى مصر الجديدة - القاهرة - ت : 22586197 - 24677371 - 24677138
فاكس - 202/24677188 ج.م.ع ، 4 ش بدوى محرم بك - الإسكندرية ت : 03/4970840 - 03/4970850



ناصر والإخوان .. شرعية الإنجاز تقهر التنظيم



الهلال

نوفمبر 2013 - الثمن 6 جنيهات

- حسن البنا أكثر تطرفا من سيد قطب
- أبوزيد وثورة شهيد العربية وضحية التطرف
- الخطاب الديني في الكنيسة القبطية

تجديد الخطاب الديني

إسلام مستنير .. وعلماء يجتهدون







سلسلة شهرية تصدر عن مؤسسة دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة
عزت بدوى

رئيس التحرير
محمد الشافعى

مدير التحرير
أحمد شامخ

المستشار الفنى
محمود الشيخ

مستشار التحرير
محمد رضوان

الهلال

تصميم الغلاف: محمود الشيخ

الإدارة
القاهرة: ١٦ شارع محمد عزالعرب بك (المبتديان سابقا)
ت: ٢٣٦٢٥٤٥٠ (٧خطوط).
المكاتبات: ص.ب: ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدي ١١٥١١ -
تلغرافيا: المصور - القاهرة ج.م.ع.
تلكس: Telex 92703 hilal u n
فاكس: FAX: 3625469

ثمن النسخة
سوريا ١٢٥ ليرة - لبنان ٨٠٠٠ ليرة - السعودية ١٢ ريالا - البحرين ١.٢ دينار - قطر ١٢ ريالا - الإمارات ١٢ درهما - اليمن ٤٠٠ ريال - فلسطين ٢ دولار.

الاشتراكات
قيمة الإشتراك السنوى ٩٦,٠٠جم داخل جمهورية مصر العربية تسدد مقدماً نقداً أو بحوالة بريدية غير حكومية- البلاد العربية ٤٠ دولاراً - أوربا وآسيا وأفرقيا ٤٥ دولاراً - أمريكا وكندا والهند ٥٠ دولاراً - باقي دول العالم ٧٥ دولاراً
القيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر مؤسسة دار الهلال ويرسل لإدارة الإشتراكات بخطاب مسجل كما يرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد

الإصدار الأول/ يونيو ١٩٥١
البريد الإلكترونى: helalmag@yahoo.com

رقم الإيداع
٢٠٣٤١ / ٢٠١٣ :
الترقيم الدولى
978-977-07-1608-3

بمناسبة ذكرى حرب أكتوبر المجيدة

الحرب

الجيش المصرى قاهر الأعداء والإرهاب

بقلم
ملاك ميخائيل

إهداء...

إلى الإنسان .. كل إنسان...
في كل زمان ومكان...
الذي عاني من الظلم والطغيان ...
والذي دمر نفسه بغواية الشيطان...
ففقد السلام والأمان...
لعله يتعلم من تجارب الأيام، فيرفض الحرب ويتمسك بالسلام...

(ملاك ميخائيل شنودة)
الإسكندرية
أكتوبر ٢٠٠٩م

سطور لابد منها..

بدأت حياة الإنسان على الأرض فى الجنة، ولكنه بالطمع وعدم الرضا ومخالفة وصايا الله سبحانه وتعالى وسمعه وإطاعته لوسوسات الشيطان انتهى به المقام إلى «النار»!!.

ومنذ أن عاش الإنسان على هذه الأرض وهو يهوى الصراع ويبحث عن العراك، وحتى إذا لم يجد من يصارعه ويعاركه من الناس، صارع الطبيعة وعارك باقي مخلوقات الله، وبعد أن ينتهي من هذه القتالات وينهيها ، يتلفت حوله باحثا عمن يواصل معه الصراع والعراك، وعندما لا يجد أحداً غيره فإنه يحارب نفسه أو كما يقولون: (يحارب نباب وجهه) أو بلغتنا الدارجة : يحارب دبان وشه!.

ومنذ أن بدأت هذه الحرب (المعركة) الأولى بين (قابيل) و(هابيل) فى أول ظهور للإنسان على هذه الأرض، والتى قتل فيها قابيل (قايين) أخاه (هابيل) والقتال والصراع والحروب مازالت مستمرة بين الدول بعضها وبعض أو بين الأشخاص والأفراد بعضهم وبعض، أو حتى بين الإنسان ونفسه فى كثير من الأحيان..

وعن هذه الحروب المتوالية والمتواصلة، والتى فشل كل العلماء والأدباء والمفكرين والفلاسفة في منعها وإنهائها نقدم هذه الصفحات، في محاولة صغيرة منا للإجابة على بعض الأسئلة التالية:

ما هى الحرب؟!

ما أسباب الحروب؟!

كيف نمنع نشوب الحروب؟!

متى تتوقف الحروب على هذه الأرض؟!

ما هى أشهر الحروب التى نشبت فى العالم؟!

ما هى الحرب؟!

الحرب هى صراع مسلح بين جماعتين أو دولتين ينتج عنها انتصار طرف وانهزام طرف، وتتسبب فى قتل الأفراد أو جرحهم وتدمير الممتلكات أو الاستيلاء عليها، وقد تنشأ الحرب باعتداء دولة على أراضي وسكان دولة أخرى (حرب هجومية) أو لدفاع دولة عن أراضيها وسكانها ضد هجوم وعدوان دولة مهاجمة (حرب دفاعية)، أو لطرد إحدى الدول من أراضى دولة أخرى تحتلها (مقاومة وطنية)... وفى كل الحروب وبصرف النظر عن حجمها ومدتها ومداها فإن كلا

من المتحاربين يصاب بخسائر كبيرة أو صغيرة، وكلا من المنتصر والمهزوم لابد وأن يدفع جزءاً غير قليل من تكلفة الحرب سواء كان ذلك فى الأفراد أو الممتلكات...

ومن قبيل التكرار الذى يعلم الشطار من ناحية ويوضح ويؤكد المعنى المراد من ناحية أخرى، يلزمنا أن نذكر أن الحرب تسبب مصرع ومقتل الملايين، وجرح وإصابة الملايين، وتخريب وتدمير المصانع والمزارع والمدارس والمنازل التى تكلف إنشاؤها وبناؤها الملايين... فهى خسارة فادحة وخراب مدمر..

من أسباب الحروب..

تتضافر مجموعة من العوامل المختلفة فى العمل على إشعال الحروب والمعارك بين كل من الأفراد أو بين الدول والجماعات .. ويمكن تلخيص وتجميع هذه العوامل فى الآتى:

١- عوامل اقتصادية:

مثل معاناة الدولة من الفقر وقلة الإنتاج وقلة الموارد الطبيعية أو الصناعية التى تحتاج إليها لتوفير سبل المعيشة اللازمة لسكانها. وهذه المعاناة قد تدفعها إلى مهاجمة دولة أخرى ومحاربتها بهدف الاستيلاء على مواردها واستغلالها

لصالح شعبها.. ومن الطبيعى أن تحاول الدولة صاحبة الموارد والمعتدى عليها الدفاع عن نفسها وحماية مواردها ضد المعتدين، ومواصلة محاربتهم لطردهم منها وإبعادهم عنها إذا نجحوا في احتلالها .. وهذه العوامل هى السبب الأول والرئيسى فى نشوب أكثر من (٩٠٪) من الحروب منذ أن بدأت وحتى الآن...

ونحب ويجب أن ننبه إلى أن الفقر وقلة الموارد قد تكون السبب الظاهري للحرب والقتال، ولكن السبب الجوهرى هنا هو الطمع وعدم الرضا بما أعطاه الله للإنسان الفرد أو للدولة والجماعة، فقد يعتدى صاحب (٩٩) عنزة على رجل لا يملك إلا عنزة واحدة للاستيلاء علي عنزته الوحيدة، ليصبح مالكا لـ (١٠٠) عنزة!!

وقد تعتدى دولة غنية وتمتلك الكثير جدا من الموارد الكثيرة والمتنوعة علي دولة صغيرة وفقيرة للاستيلاء على مواردها المحدودة والقليلة.. فالموضوع هنا ليس موضوع الغنى والفقر بقدر ما هو موضوع الطمع وعدم الرضا بما قسمه الله ومنحه وأعطاه..

٢- عوامل مذهبية أو دينية:

بهدف العمل على انتشار أحد الأديان أو الدفاع عنه ضد غير المؤمنين به، وكأن الناس أكثر حبا للدين ورغبة فى نشره

من الله تعالى، وكأنهم أيضا الأقدر على الدفاع عن الدين وحمايته من منزله تعالى..

٣- عوامل اجتماعية :

وتتمثل فى محاولة كل طبقة من طبقات الشعب فى القضاء على الطبقات الأخرى ، أو على الأقل التفوق عليها والتحكم فيها والاستئثار بكل المكاسب والميزات دونها...

وتتفاعل كل هذه العوامل بمفردها أو بمجموعها كمحركات ودوافع لإشعال الحروب بين الشعوب.

كيف نمنع نشوب الحروب؟!

قد يظن البعض - وبعض الظن إثم - أننا إذا عرفنا أسباب نشوب الحروب وقضينا عليها ومنعناها وعالجناها، فإننا يمكن أن ننجح فى منع نشوب الحروب.. لكن ذلك ليس صحيحا تماما، وذلك لثلاثة أسباب مهمة ورئيسية:

١- أن الله هو الذى خلق الإنسان وزرع فى داخله المشاعر والنزعات، ومنها مشاعر التفوق ونزعات حب الامتلاك، وهى مشاعر ونزعات طيبة وخيرة إذا بقيت فى حدود اللازم والمعقول، لكن زيادتها وتضخمها إلى أن تصبح تسلطاً وطمعا هو الذى يجعلها مشعلا للحرب بين الإنسان كفرد أو كدولة وبين الآخرين.

٢- أن الطبيعة الطيبة والخيرة والصالحة التى خلق الله عليها الناس قد سقطت بسقوط (آدم) و (حواء) بإغراء الشيطان لهما إذا أكلا من الشجرة المنهية طمعا فى الحصول على ما هو أفضل وأجمل مما يجدانه فى الجنة...

٣- أن من المستحيل معالجة كل العوامل الاقتصادية والمذهبية والدينية والاجتماعية وغيرها من العوامل التى تشعل الحروب وتسبب الصراع والقتال بين الناس.. فمن لايملك يحارب لكى يملك، ومن يملك يحارب ليدافع عما يملكه من جهة أو ليزيد ويضاعف ما يملكه من جهة أخرى..

وهكذا تنشب الحروب وتستمر إلى ما شاء الله..

متى تتوقف الحروب على هذه الأرض ؟!

هذا السؤال متصل اتصالا وثيقا بكل الأسئلة السابقة، وعلى ذلك فإن إجابته هى أيضا مرتبطة تماما بالإجابات على الأسئلة الأخرى، ورغم أن المفروض والمنطقى أننا إذا عرفنا ماهى الحرب، ولماذا تنشب الحروب، وكيف نمنع اشتعال الحروب - المفروض - أننا نستطيع عندئذ أن نوقف وننهى هذه الحروب التى عانت البشرية من ويلاتها على مدى تاريخ وجودها على هذه الأرض، لكن هذا المفروض والمنطقى جدا

من الصعب بل ومن المستحيل تحقيقه أبدا وعلى المدى القريب أو البعيد.. بل ومن الغريب والمؤسف والمحزن جدا أن التقدم الاقتصادى والعلمي والاجتماعي لم يوقف الحروب، بل جعلها أكثر تخريبا وتدميرا، وأقسى قتلا وتجريحا، فالقنبلة التى كانت تقتل قبلا بضعة أشخاص وتهدم جزءاً من مبنى، أصبحت اليوم تقتل آلاف الأشخاص وتهدم عشرات المباني.. وإذا كان عدد قتلى الحرب العالمية الأولى قد بلغ أكثر من عشرة ملايين قتيل، والحرب العالمية الثانية حوالى (١٥) مليون قتيل، فإن الحرب الثالثة إذا قامت لا قدر الله ستقتل نصف سكان العالم تقريبا، إذا تركت سكاناً بعدها فى العالم!!

الإجابة إذن وباختصار شديد لن تتوقف الحرب على هذه الأرض طالما بقى الطمع والشر فى قلب الإنسان، وطالما بقيت الأسلحة فى يده.. ويمكن للحرب أن تتوقف وتنتهى إذن عندما يتخلص الإنسان من أفكاره الشريرة ومن أسلحته كلها.. مستحيل؟!

ما هى أشهر الحروب التى نشبت فى العالم؟!

وللإجابة على هذا السؤال كانت صفحات هذا الكتاب الذى نقدمه للقارئ العزيز راجين أن يجد بين سطورها ما

يعرفه بأشياء لم يكن يعرفها، وأن يعلمه بأمور كان يجهلها، وأن يضيف إلى معلوماته معلومات جديدة، وأن يثرى حياته بمعارف مفيدة.. وأن يتكرم قبل هذا وبعده بالكتابة لنا ومراسلتنا حتى نضيف إلى هذه الصفحات ما يرى القارئ اللبيب أنه ينقصها، بل ونحذف منها ما يظن أنه لا لزوم ولا ضرورة له.. فنحن نكتب للقارئ وحده ولا نكتب لغير قارئنا الحبيب واللبيب .. والله الموفق.

الفصل الأول:

أول حرب في التاريخ..

لم يكد الإنسان الأول يخطئ ويعصى الله ولايطيع وصيته الأولى والسهلة بعدم الأكل من الشجرة الوحيدة التى نهاه الله عن الأكل منها لأنه يوم يأكل منها يموت، لم يكد هذا الغريب (الإنسان) يخطىء ويطرد من جنة عدن وينزل إلى الأرض، حتى حن للشر واشتاق لطبيعته الجديدة العاصية والشريرة، وهكذا نشبت أول حرب فى العالم بين (قابيل) و(هابيل) أكبر أولاد (آدم وحواء) .. وهى الحرب التى يمكن أن نطلق عليها بحق اسم الحرب العالمية الكبرى، والأولى، والتى راح ضحيتها حوالى ربع «١/٤» سكان العالم باعتبار أن سكان العالم فى ذلك الوقت كانوا أربعة وهم «آدم» و«حواء» و«قابيل» و«هابيل» .. أما إذا اعتبرنا أن سكان العالم كانوا ستة أشخاص، بإضافة بنتين من بنات «آدم وحواء» وهما زوجتا «قابيل» و «هابيل» أيضا، فإن «قابيل» فى هذه الحالة الأخيرة يكون قتل سدس «١/٦» سكان العالم؟!!

وقد حكت الكتب السماوية المقدسة «التوراة والإنجيل والقرآن» قصة هذه الجريمة البشعة والأولى في العالم بالتفصيل، ربما حتى يتعلم الناس ويعرفوا أن الجريمة لاتفيد فيكرهونها ويبتعدون عنها، وربما حتى نعرف جميعا أننا أولاد المجرم القاتل «قابيل»، ولسنا أولاد «هابيل» الطيب القتيل!

ملحوظة خارج الموضوع:

لم ينبهنا أحد من قبل وفى كل الكتابات الكثيرة والمتنوعة التى قرأتها عن حكاية «قابيل وهابيل» من قبل - لم ينبهنا أو يلفت نظر أحد - إلى هذه الملحوظة الغريبة والتى لفتت نظرى وأثارت انتباهي وحركت أفكاري وأنا أكتب هذه الحكاية القديمة والمعروفة لجميع الناس، وهذه الملحوظة التى طرأت على ذهنى الآن فقط ورأيت أن أكتبها كما فكرت فيها تاركا القارئ اللبيب أن يفكر فيها ويتأملها بنفسه ما شاء له أن يفكر وما شاء له التأمل، وأعرض ملحوظتى على شكل سؤال:

هل لاحظ أحدكم من قبل العلاقة والحروف الكثيرة المتشابهة بين كلمتى «هابيل» و«أهبل» وبين كلمتى «قابيل» و«قاتل» ؟! وأطرح الملحوظة السؤال للتأمل والتفكير، وأما عن

أفكارى التى فكرت فيها والتأملات والخواطر التى خطرت لى فأعتذر عن ذكرها الآن حيث إنها خارج موضوعنا، ولكل مقام مقال؟! ونعود إلى قصة أول حرب فى العالم كما ذكرتها الكتب السماوية المقدسة، لنعرف من نحن ومن هم أباؤنا وأجدادنا القتلة؟!.

أولاً: فى الكتاب المقدس العهد القديم «التوراة»:

جاء فى قصة خلق العالم التى ذكرها سفر «التكوين» وهو أول أسفار التوراة التى كتبها موسى النبى، ويحكى تاريخاً ممتداً على مدار أكثر من (٢٣٧٠) سنة من خلق آدم وحواء وحتى موت «يوسف» الصديق بمصر، جاء فيه بخصوص قايين «قابيل» و«هابيل» ما يلى:

«..وعرف آدم حواء امرأته، فحبلت وولدت قايين «قابيل» وقالت: اقتنيت رجلاً من عند الرب، ثم عادت فولدت أخاه هابيل.. وكان هابيل راعيا للغنم، وكان قايين عاملاً فى الأرض «فلاحا».

وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر

الرب إلى هابيل وقربانه، ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر فاغتاظ قايين جداً وسقط على وجهه، فقال الرب لقايين: لماذا اغتظت؟!

ولماذا سقط وجهك ؟! إن أحسنت أفلارفع؟! وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة وإليك اشتياقها وأنت تسود عليها.

وكلم قايين أخاه وحدث إذ كانا فى الحقل أن قايين قام على هابيل أخيه وقتله، فقال الرب لقايين: أين هابيل أخوك ؟ فقال : لا أعلم، أحارس أنا لأخى ؟! فقال الرب : ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض، فالآن ملعون أنت من الأرض التى فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يدك.

متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها، تائها وهاربا تكون فى الأرض.

فقال قايين للرب: ذنبى أعظم من أن يحتمل انك قد طردتنى اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك اختفى، وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض، فيكون كل من وجدنى يقتلنى».. (تكوين ٤: ١-١٤).

ثانيا: فى الكتاب المقدس العهد الجديد «الإنجيل»:

جاء ذكر قايين فى الإنجيل المقدس ثلاث مرات فى ثلاث آيات.

١- بالإيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين، فبه شهد له أنه بار، إذ شهد الله لقرابينه وبه إن مات يتكلم بعد.

– (من رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١١:٤)

٢- ليس كما كان قايين من الشرير وذبح أخاه، ولماذا ذبحه؟

لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه بارة.

(من رسالة يوحنا الرسول الأولى ٣: ١٢)

٣- ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين..

(من رسالة يهوذا الرسول ١١)

ثالثا: فى القرآن الكريم:

قال تعالى: « واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. قال : لأقتلنك. قال: إنما يتقبل الله من المتقين، لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين. إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك

جزاء الظالمين. فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين. فبعث الله غراباً يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه. قال : ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوءة أخى فأصبح من النادمين. من أجل ذلك كتبنا على بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً..».

(من سورة المائدة ٢٧-٣٢)

والقصة فى كل من الكتاب المقدس والقرآن الكريم هى نفسها تقريبا.. حكاية الأخ الذى يحسد أخاه ويغار منه، ويتحول الحسد إلى كراهية، وتكبر الكراهية فتصبح غيظا وحقداً، وينمو الحقد ليصبح فكرة واحدة تسيطر على عقل وقلب ومشاعر صاحبها حتى تدفعه لقتل أخيه الإنسان.. ونحن هنا لسنا فى مجال شرح القصة من المنظور الدينى أو مناقشتها فلسفيا، لكننا هنا نعرضها ونحكيها ونتعلم منها من وجهة نظر إنسانية وتاريخية كأول حرب أو جريمة قتل فى التاريخ البشرى الذى كتبه الإنسان بدمه ودم أخيه الإنسان.. ومن نعم الله على الإنسان أن ملكه زمام نفسه، وأعطاه

القدرة على الاختيار بين الخير والشر، ومنحه قوة التسلط على الشر ورفضه، فالإنسان بطبيعته البسيطة والغريزية يميل للخير ويحب السلام ويبحث عن الجمال ويتمسك بالحياة، لكن ما يميل إليه الإنسان ويحبه ويبحث عنه ويتمسك به «شيء»، وما يفعله «شيء آخر» مختلف تماماً.. فالإنسان لا يعمل غالبا الخير والجمال الذى يحبه ويسعي إليه ويتمناه، بل يصنع الضلال والشر وكل الأشياء السيئة والقبيحة التى لا يريدها من أعماقه.. والإنسان بالرغم من كل تاريخه وتجاربه وعلمه التى تؤكد له شرور الحروب ومساوئها وآثارها المدمرة ونتائجها الأليمة والمريرة، وتؤكد له أيضا ضرورة السلام وأهميته ودوره فى استمرار الحياة وتقدمها، فإن الإنسان وبالرغم من كل ذلك وفى لحظة واحدة ينسى كل شئ، ويعمى عن كل شئ وتتحجر مشاعره ويتوقف قلبه عن النبض وعقله عن التفكير ويتجرد من إنسانيته ليندفع بكل غيظه وجهله ويشعل حربا جديدة لا تعود عليه إلا بالخراب والدمار والحزن والألم والموت .. ثم يفيق من غيبوبته ويعود إلى وعيه، ويرى ما صنعه بغيظه وحقده ورغبته فى الانتقام، ويكتشف كم كان غبيا وهمجيا وقاسيا ومتوحشاً، فيندم على كل ما حدث ولا

يملك عندئذ إلا أن يجلس وسط الخرائب التى صنعها وبين الجثث والأشلاء التى قتلها وقضى على أصحابها حتى دون أن يعرفهم، ثم يروح يبكى ويبكى وكأنه يتمنى أن يغرق الدنيا كلها بدموعه الساخنة لعله يكتشف بعد ذلك دنيا جديدة وجميلة وسعيدة .. ولكن : أين ؟!

وما دمنا كنا نتحدث عن حكاية أو عن حرب (قابيل) و(هابيل) ، فلابد أن ما يعانى منه الإنسان وما يفكر فيه وما يعمله من مشاكل وخلافات وجرائم وحروب وويلات راجع إلى أن كل البشر الذين يعيشون على هذه الأرض قد ورثوا الشر والميل للقتل وسفك الدماء، عن جدهم أو أبيهم الأكبر والقاتل الأول (قابيل) ... فهذا المجرم القاتل والذى كان أول من سفك دم أخيه الإنسان، هو الذى عاش بجريمته وأنجب أولادا ورثهم قسوته وإجرامه، وأما ذلك الراعى الطيب الوديع فقد مات ولم يترك أولاداً، أو قد يكون ترك أولادا قليلين طيبين ويتامى وحزانى ولا حول لهم ولا قوة، ولذلك وحتى اليوم ينقسم الناس إلى أقلية طيبة ومسالمة وأغلبية قاسية وشريرة وآثمة ومجرمة .. وهذا هو حال الدنيا أمس واليوم وغدا .. وليسامحنى الله على كلامى هذا ويغفر لى إن كنت مخطئا.

الفصل الثانى:

حروب مستمرة

وبعد أن تعرفنا باختصار شديد على قصة أول حرب وحكاية أول قتال نشب على هذه الأرض بين إنسان وإنسان، وهى الحرب التى تستحق فعلا أن يطلق عليها أول حرب عالمية أو (الحرب العالمية الأولى) بحق، والتى قتل فيها (قابيل) ربع (١/٤) سكان العالم وقتذاك ؟!!

دعونا نعرض ونستعرض معا - وباختصار شديد جدا وإن كان غير مخل، ومع بعض التفاصيل الضرورية والمهمة ولكن بأسلوب غير ممل - تاريخ وأحداث وأبطال أكثر من خمسين حربا اشتعلت نيرانها الحارقة وتساقط ضحاياها الأبرياء المساكين على مدى خمسة وعشرين قرنا مضت، أى من سنة (٥٠٠) قبل الميلاد، وحتى سنة (٢٠٠٥) ميلادية . وسنحاول ترتيب هذه الحروب ترتيبا تاريخيا أى من الأقدم للأحدث، فنبدأ بالحروب الفارسية التى قامت بين المدن الإغريقية والمحتلين الفرس لها (٤٤٨/٤٩٩) قبل الميلاد، حتى

نصل إلى عام (٢٠٠٣) م والحرب العراقية الأمريكية، أو على معنى أصدق وبتعبير أصح (للاحتلال الأمريكى البريطانى للعراق) ونحن إذ نلتزم بالترتيب التاريخى الذى قامت فيه الحرب، فلأننا نراه أنسب وأسهل طريقة لترتيب الحروب، تاركين للقارئ العزيز طبعا إعادة ترتيب هذه الحروب بالطريقة التى تروق له وتعجبه وتريحه أيضا، كترتيبها بحسب مدتها، أو عدد المشتركين فيها، أو كمية وتنوع أسلحتها، أو بحسب آثارها ونتائجها .... إلخ .

١ - **الحروب الفارسية** :(٤٩٩ - ٤٤٨ ق.م) ،

صراع المدن الإغريقية ضد الامبراطورية الفارسية .. بدأ الصراع بثورة المدن الأيونية الاغريقية على شاطئ آسيا الصغرى ضد حكم دارا الأول . ساعدت أثينا وارتريا الثوار، لكن الفرس أخمدوا الثورة (٤٩٩ - ٤٩٤ ق.م) . عندئذ قرر دارا معاقبة أثينا وارتريا وضم كل بلاد الإغريق، وفى ٤٩٢ أخضع الفرس تراقيا ومقدونيا لكن الأنواء عصفت بالأسطول الفارسى ووضعت حدا لهذه الحملة، وفى ٤٩٠ أنفذ الفرس حملة ثانية استولت على جزر الكيكلاد وارتريا. ونزلت على شاطئ أتيكا عند مارثون حيث هزمها الأثينيون

بقيادة ملتيادس، كان دارا يعد حملة ضخمة ثالثة عندما توفى، فقام ابنه أجزركسيس بتنفيذ مشروع أبيه فى ٤٨٠، قاوم الإغريق الجيش الفارسى الضخم عند ممر ترموبيل حتى فنوا عن آخرهم، ثم زحف الفرس على أثينا واحتلوها، وكان أهلها قد أخلوها لكنهم لم يلبثوا أن سحقوا الأسطول الفارسى فى موقعة سلاميس. عاد أجزركسيس إلى بلاده تاركا الجيش بقيادة ماردونيوس الذى هزمه الإغريق هزيمة فاصلة عند بلاتيا ٤٧٩، وفى العام نفسه قضى الإغريق على بقايا الأسطول الفارسى عند ميكالى، مما شجع إغريق الجزر وآسيا الصغرى على القيام بثورة جديدة ضد الفرس. وعندما أصبحت الحرب بحرية آلت زعامتها إلى أثينا، التى كونت حلف ديلوس لتحرير اغريق الجزر وآسيا الصغرى وتطهير البحار من الفرس. أنزل الإغريق عدة هزائم بالفرس وعاونوا المصريين فى ثورتهم على حكم الفرس، العدو المشترك.

وفى ٤٤٨ عقد صلح اعترف فيه باستقلال إغريق الجزر وآسيا الصغرى (عدا قبرص) وإغلاق بحر إيجة فى وجه السفن الفارسية الحربية، ولعل أهم نتائج هذه الحروب أنها بعثت فى الإغريق ثقتهم بأنفسهم وشعورهم بقوميتهم وسمو

حضارتهم على حضارة خصومهم، فكانت أكبر حافز أوصل تلك الحضارة إلى ذروة المجد فى أقصر فترة عرفها التاريخ .

٢ - الحـــرب البلوبونيــزية : (٤٣١ - ٤٠٤ ق.م)

الصراع المسلح بين الدولتين المتنازعتين أثينا واسبرطة فى بلاد الإغريق القديمة ، ولم يكن انتصار أثينا للديمقراطية وسيطرتها على امبراطورية واسعة، بينما كانت اسبرطة تناصر الأوليجاركية، وتترنم «بحق تقرير المصير» و«توازن القوى»، هو السبب الوحيد الذى جعل هذا الصراع أمرا محتوما بين مشكلة الأسواق الغربية التى ازدادت حدة بسبب ازدياد منافسة أثينا لكورنثا وجاراتها فى أسواق إيطاليا وصقلية، وقدر أعداء أثينا أن اتساع صادراتها إلى الغرب لابد من أن يؤدى إلى اقتصار صادرات الغرب على أثينا، فتصبح لها عندئذ سيادة تجارية وسياسية على بلاد البلوبونيز لأن هذه الأقاليم كانت تعتمد كل الاعتماد على المواد الغذائية الآتية من الغرب، ولما كان خطر احتكار أثينا الواردات من الغرب يتهدد اسبرطة أيضا، فإنها أصغت إلى شكاوى كورنثا وجاراتها، وبلغت المنافسة الطويلة السياسية والاقتصادية بين أثينا والبلوبونيز حدا فاصلا، عندما خطت

أثينا ثلاث خطوات مـهـمـة فى عـامى ٤٣٣ و٤٣٢ وهى : أولا قبول محالفة كوركيرا، وكانت مستعمرة غنية من مستعمرات كورنثا وتعـتبر الجسر الطبيعى بين بلاد الاغريق والغرب، وثانيامحاصرة بوتيدايا وكانت إحدى مستعمرات كورنثا، وثالثا إصدار قرار بحرمان ميجارا المتاجرة مع الامبراطورية الأثينية، وعندئذ اجتمعت العصبة البلوبونيزية فى اسبرطة واتهمت أثينا بأنها اخترقت صلح الثلاثين عاما، وارتكبت عدة أعـمـال ظالمة، وأعلنت الحرب عليهـا، ويرجع طول أمـد هذه الحرب إلى أن أثينا وحلفاءها كانت دولا بحرية، وليست لديها جيوش برية قوية، فى حين أن أسبرطة وحلفاءها كانت دولا برية، وليس لها أسطول قوى ، مضت العشر سنوات الأولى من الحرب على وتيرة واحدة، فقد اقتصرت خطة اسبرطة على غزو أتيكا كل عام وقت المحصول، لتضطر الأثينيين إلى الاشتباك فى معركة فاصلة، وعلى بذر بذور الشقاق بين رعايا الامبراطوررية الأثينية، أما خطة أثينا فكانت تقضى بتجنب الاشتباك مع أسبرطة على أرض أتيكا، وإخضاع أى عصيان بين رعاياها دون هوادة، وبذل كل جهد للاستيلاء على طرق التجارة الغربية ، وتخريب شواطئ البلوبونيز، وعندما أخذت

قوى الفريقين تضمحل نجح الزعيم الأثينى نيكياس فى عقد صلح ٤٢١ مع أسبرطة لكنه لم يكن أكثر من هدنة مضطربة، وفى هذه الأثناء تقدم الصفوف فى أثينا زعيم جرئ يدعى الكبيادس وحرض الأثينيين على إعداد حملة كبيرة لفتح سراقوسة، وكانت بمثابة أثينا الغرب وأسندت قيادة الحملة إلى الكبيادس ونيكياس، وما كادت الحملة تصل إلى سراقوسة حتى استدعى الكبيادس لمحاكمته بتهمة دينية خطيرة لكنه هرب إلى أسبرطة حيث أفشى سر الحملة وأمدها بنصائح قيمة، وانتهت الحملة بكارثة مروعة لأثينا ٤١٣ ق.م ، وقد أحرزت أثينا بعد ذلك بعض الانتصارات البحرية إلا أن تلك الانتصارات لم تكن حاسمة . وعندما بنت أسبرطة أسطولا جديدا وأسندت القيادة إلى ليساندر وأمده الفرس بمعونتهم قضت على الأسطول الأثينى ٤٠٥، وأخضعت أثينا ٤٠٤ وأقامت فيها حكومة أوليجاركية، وآلت إليها زعامة بلاد الإغريق زهاء ثلاثين عاما، ولم تسترد أثينا مكانتها الأولى ثانية .

٣ - **الحرب البونية** : ثلاثة حروب بين روما وقرطاجة من أجل سيادة البحر المتوسط. عندما بدأت هذه الحروب

كانت روما قد أتمت تقريبا فتح شبه جزيرة إيطاليا، وكانت قرطاجة قوة كبرى تسيطر على ش. غ أفريقيا والجزر والتجارة فى غ البحر المتوسط، وعندما انتهت هذه الحروب أصبحت قرطاجة حطاما وروما أكبر قوة غ الصين، بدأت الحرب البونية الأولى (٢٦٤ - ٢٤١ ق.م) عندما طلبت مسانا العون من روما وقرطاجة فى نزاعها مع سراقوسة .

وسارع القرطاجيون إلى تلبية النداء، وعقدوا صلحا بين الطرفين المتنازعين، ولكن الرومان ، وقد أزعجهم امتداد نفوذ القرطاجيين، لم يهدأ لهم بال حتى طردوهم من تلك المنطقة وأخذوا صقلية وبعد ذلك أحرز الأسطول الرومانى نصرين (٢٦٠، ٢٥٦ ق.م) ، وأنزل حملة فى إفريقيا لكن هذه الحملة فشلت وأسر قائدها ٢٥٥، ونجح هاميلكار فى منع الرومان من الاستيلاء على غ صقلية، عندما أحرز الرومان نصرا بحريا جديدا ٢٤١، طلبت قرطاجة الصلح ووافقت روما. وكانت أهم شروط الصلح أن تدفع قرطاجة تعويضا لروما وتنزل لها عن ممتلكاتها فى صقلية، وكانت أهم أحداث العشرين عاما التالية دخول روما سردينيا وكورسيكا وفتوحات هاميلكار فى إسبانيا، وعندما حاصر ٢١٩ هانيبال

ابن هاميلكار مدينة ساجونتوم وكانت حليفة روما واستولى عليها .

أعلنت روما الحرب . وكانت الحرب البونية ٢ أو حرب هانيبال (٢١٨ - ٢٠١ ق.م) أشهر الحروب الثلاث وتمتاز بغزو هانيبال إيطاليا ونجاحه هناك إلى أن باءت جهوده بالفشل نتيجة لقصور الإمدادات وهزيمة أخيه هازدروبال عند نهر متاوروس ٢٠٧، عاد هانيبال إلى أفريقيا ليدافع عن قرطاجة ضد اسكيبيو أفريكانوس الأكبر، لكنه هزم في معركة زاما ٢٠٢، فنزلت قرطاجة لروما عن ممتلكاتها الإسبانية وأسطولها الحربي، ودفعت لها غرامة كبيرة، ولم تسترد ثانية عظمتها التجارية . ومع ذلك لم ينقطع كاتو الأكبر عن المطالبة بتدمير قرطاجة، ويرجع قيام الحرب البونية الثالثة (١٤٩ - ١٤٦ ق.م) إلى أن روما اتهمت قرطاجة بخرق شروط معاهدة الصلح ، وذلك لأنها قاومت ماسينيسا حليف روما عندما اعتدى عليها، حوصرت قرطاجنة، لكنها لم تستسلم، فتحها اسكيبيو أفريكانوس الأصغر ودمرها عن آخرها .

★★★

هانيبال بطل الحروب البونية ..

قائد قرطاجني شهير، ولد سنة (٢٤٧ ق.م) غرس فيه أبوه (هاميلكار) كراهية شديدة وعميقة ضد الرومان، فكان أعظم خصوم روما وأقواهم، بل ومن أعظم القواد عبر العصور..

كان أبوه (هاميلكار) قد تولى قيادة صقلية فى الحرب البونية الأولى ضد الرومان سنة ٢٤١ ق.م ، وعندما اضطر القرطاج لقبول الصلح بعد تدمير أسطوله، لكنه عاد فبنى أسطولا وجيشا قويا خرج به لمحاربة إسبانيا واحتلالها سنة ٢٣٧ ق.م ، واتخذ منها قاعدة لمحاربة روما . وبعد أن نجح لبضع سنوات قتل فى أحد الحروب سنة ٢٢٨ ق.م وخلفه فى الحكم ابنه (هانيبال) الذى أصبح أعظم محاربى (روما) على مر التاريخ .. ففى سنة ٢٢١ ق.م خرج على رأس جيش صغير من فرق مختارة قاصدا فتح ايطاليا، فعبر جبال الألب واستولى على وادى نهر البو، وفى سنة ٢١٧ ق.م عبر جبال الابنين زاحفا إلى روما، وانتصر على الرومان عند بحيرة ترازيمينى، وذهب إلى جنوب إيطاليا واكتسب حلفاء كثيرين وألب أصدقاء روما ضدها؛ وفى سنة ٢١٦ ق.م هزم الرومان في موقعة كاناى. وفى سنة ٢٠٧ ق.م زحف بجيوشه لفتح

روما، ولكن توقف الإمدادات، وهزيمة أخيه (هازدروبال) عند نهر متاوروس اضطرته للانسحاب إلى جبال بروتيوم. ثم عاد مضطراً إلى قرطاجة لمقاومة اسكيبيو، وهناك نال هزيمة قاسية وفاصلة فى موقعة زاما سنة ٢٠٢ ق.م ، ثم عقد صلحا مع اسكيبيو أصبح بموجبه حاكما لقرطاجة، ولكن الرومان طالبوا شعبه بتسليمه إليهم، فاضطر لمغادرة بلاده وذهب للإقامة عند أصدقائه فى بيثينا، وعندما علم أن مضيفيه يتفقون على تسليمه للرومان، قتل نفسه حتى لا يقع فى قبضة أعدائه القساة، مفضلًا الموت على ذل الأسر .. وقد اشتهر بالبراعة في الخطط الحربية والشجاعة فى القتال، حتى أن بعض المؤرخين يعتبرونه من أعظم القواد فى التاريخ.

★★★

٤ - حروب العبيد (١٣٤/٧١) ق.م

يسجل التاريخ الرومانى القديم قصص وأحداث ثلاث ثورات أو ثلاثة حروب قام بها العبيد فى كل من صقلية، وجنوب إيطاليا، وهذه الحروب أو الثورات هى :

١ - الثورة الأولى (١٣٤/١٣٢) ق.م

وقام فيها العبيد فى جزيرة صقلية الخاضعة للاحتلال الرومانى بإعلان الثورة ومحاولة التحرر من العبودية المفروضة عليهم، ولكن الجيش الرومانى تدخل وقضى على هذه الثورة بكل العنف والقسوة والوحشية ..

٢ - الثورة الثانية (١٠٤/١٠١) ق.م

بعد فشل العبيد فى ثورتهم الأولى، ورغم القسوة التى عوملوا بها، أعادوا تنظيم أنفسهم وقاموا بثورة ثانية فى صقلية أيضا لكنهم وللمرة الثانية انهزموا وقضى على ثورتهم.

٣ - الثورة الثالثة (٧٣/٧١) ق.م

وقامت هذه الثورة بقيادة (سبارتاكوس) فى جنوب إيطاليا، وكادت أن تنجح فى تحقيق أهدافها بتحرير العبيد واستقلالهم بحكم جنوب إيطاليا، ولكن (ماركوس ليكينيوس كراسوس) و(بومبى الأكبر)القائدان العسكريان الرومانيان نجحا فى القضاء على هذه الثورة بكل القسوة والوحشية، حتى أنهما صلبا (٦٠٠٠) من العبيد المشاركين فى الثورة، وقد انتهت الثورة بمقتل (سبارتاكوس) صلبا ..

بومبى وكراسوس ..

(جنايوس بومبيوس ماجنوس) - ١٠٦/٤٨ ق.م - قائد رومانى أدى خدمات عظيمة وخاض حروبا كثيرة ضد أعداء روما، فمنحه القيصر لقب (الأكبر) وسمح له بإقامة مهرجان للنصر، ثم جعله (بروقنصل) للقضاء على بقايا أعداء روما مثل : ماريوس فى إسبانيا، بقايا أتباع سبارتاكوس . فى ٦٦ ق.م قاد الحرب ضد (ميثديداتس) ملك بونتوس، وحقق انتصارات باهرة فى كل حروبه. خشى الزعماء الرومانيون أن يعود منتصرا فينصب نفسه امبراطوراً عليهم، لكنه عندما عاد إلى روما فاجأهم بتسريح جيوشه، ولما فعل ذلك قرر السناتو - (المجلس الاستشارى لملوك روما) وهو السلطة المسيطرة على كل شئون الدولة الرومانية بالتحالف مع قيصر وكراسوس - محاربته حتى لا يتحول إلى دكتاتور. وفى الحرب مع إيطاليا تولى بومبى القوات الرومانية، وبعد هزيمته فى موقعة فارسالوس سنة ٤٨ ق.م هرب إلى مصر وقتل بعد وصوله إليها بأيام قليلة، وتولى القيادة بعده ابنه (بومبى سكستوس) الذى واصل الحرب ضد القيصر حتى اعتبر خارجا عن القانون، وبعد أن حقق نصرين على أوكتافيوس انهزم وفر إلى آسيا الصغرى حيث أسر وقتل (٣٥ ق.م) ...

٥ - **حرب الحلفاء** : (٩٠ - ٨٨ ق.م) صراع نشب بين الرومان وحلفائهم الايطاليين، عندما رفضت روما منح الحقوق الرومانية لحلفائها، الذين كثيرا ما دفعوا الأذى عنها وساعدوها بدمائهم وأموالهم في بناء مجدها ومع ذلك حرموا المساواة في الحقوق مع الرومان. ولم تكن لديهم وسيلة دستورية لحماية أنفسهم من وقاحة الحكام الرومان وجورهم وتشريعات المجالس الرومانية التي لم ترع مصالحهم ولا عواطفهم، ولم تفلح روما في إخماد الثورة إلا بعد إصدار عدة تشريعات فرقت كلمة الحلفاء، بأن ضمنت لأغلبيتهم كل ما كانوا يحاربون من أجله . وهكذا اضطرت روما لأول مرة في تاريخها إلى إدخال تغيير ملموس على سياستها تحت تأثير ضغط خارجي.

٦ - **الحروب الغالية** : الحملات التي قام بها يوليوس قيصر بوصفه حاكم ولايتي بلاد الغال واليريا (٥٨ - ٥١ ق.م) . كانت أولاها لمنع القبائل الهلفتية من عبور الراين للاستقرار في الجنوب الغربي ببلاد الغال. وبعد ذلك نشد الايدويون مساعدته ضد الأمير الجرماني أريوفيستوس فاستجاب لندائهم وبدد شمل خصمهم ٥٨.

وفى العام التالى نشر الهدوء والسلام فى بلچيكا (بين نهرى السين والراين) .. وفى ٥٦ هزم قبائل الفنيتيين ، وفى ٥٥ ذهب إلى الأراضى الواطئة لصد بعض القبائل الجرمانية، وعبر الراين للقيام بحملة تأديبية. وفى ٥٤ غزا بريطانيا، وفى ٥٢ ثار كل وسط بلاد الغال وشرقيها وشماليها بزعامة فركينجتوريكس، فانقض قيصر على الثوار بسرعة مذهلة وأخمد ثورتهم. عندما تسلم قيصر مهام عمله، كانت ولاية الغال عبر الألب عبارة عن شريط عريض على امتداد ساحل البحر المتوسط . وعندما انتهت مدته، كانت هذه الولاية تشمل كل الأقاليم الواقعة بين الراين والبرانس، وبين جبال الألب والمحيط الأطلنطى، وتعتبر المذكرات التى وضعها قيصر عن تلك الحروب أحسن المصادر القديمة عنها وعن بلاد الغال .

٧ - الحملة الصليبية الأولى : (١٠٩٥ - ٩٩) ،

بدأت بزحف عدة جيوش غير منظمة من الفلاحين الفرنسيين والألمان يقودها ولتر المفلس وبطرس الناسك وآخرون غيرهما. واستهلوا أعمالهم بذبح اليهود فى أراضى الراين وأثاروا فيما بعد البلغار والمجريين فهاجموهم وشتتوهم. أما الفرق التى كانت قد وصلت القسطنطينية فقد نقلها الكسيوس الأول

إلى آسيا الصغرى حيث هزمها الأتراك . وتبع هؤلاء ١٠٩٧ جيش صليبي منظم بقيادة ريموند ٤ كونت تولوز، وجودفرى بويون، وبيمند، وتنكرد، وأقسم هؤلاء جميعا باستثناء ريموند وتنكرد يمين الولاء للامبراطور الكسيوس الأول، وتعهدوا بموجبه بقبول سيادته على فتوحاتهم، وزحفت جيوشهم على آسيا الصغرى، فاستولوا على نيقية ١٠٩٧ ، وهزموا السلاجقة فى دوريليوم، واحتلوا أنطاكية ١٠٩٨ وعسقلان ١٠٩٩، واستولوا على القدس فى يوليو ١٠٩٩، وتأسست مملكة القدس اللاتينية واختير جودفرى بويون حاكما لها، ولقب بحامى القبر المقدس.

كما أسست هيئتا الفرسان الداوية والاسبتارية . **الحملة الصليبية الثانية** : (١١٤٧ – ٤٩) ، دعا إليها سنت برنارد لكيرفو بعد أن استولى عماد الدين زنكى (١١٢٧ – ٤٦) على الرها، وكان زنكى هذا قد أسس الدولة الزنكية فى الموصل (١١٢٧ – ٦٢) ، وتزعم الدفاع عن الاسلام ، وبدأ سلسلة من الهجمات على الصليبيين انتهت بإجلائهم فى زمن المماليك عن الشرق الأدنى الإسلامى. وقاد الحملة كنراد ٣ الألمانى ولويس ٧ الفرنسى، إلا أنهما فشلا فى إحراز أى

نصر ينكر على المسلمين. وقد تولى محاربة الصليبيين خلال هذه الحملة نور الدين محمود الذى كان قد خلف أباه زنكى على إمارة حلب . واستطاع نور الدين بفضل ما أوتى من مقدرة وشجاعة، أن يستولى على بعض ما كان الصليبيون قد استولوا عليه ، وأن يأسر جوسلين ٢ (١١٥١) وبوهمند ٣ صاحب أنطاكية وريموند ٣ صاحب طرابلس، وتابع صلاح الدين الأيوبي الهجمات الإسلامية على الصليبيين بعد وفاة نور الدين وكان هذا في الأصل من رجال نور الدين، وصحب عمه شيركوه إلى مصر حيث استطاع القضاء على الخلافة الفاطمية ١١٧١ وبعد وفاة نور الدين ضم صلاح الدين الشام ١١٧٤، وتمكن ١١٨٧ من أن يهزم الصليبيين فى معركة حطين وأن يستولى فى السنة ذاتها على القدس عاصمة المملكة اللاتينية .

الحملة الصليبية الثالثة : (١١٨٩ - ٩٢) ، كانت ردا على انتصارات صلاح الدين المتوالية . وقادتها شخصيات أوروبية بارزة ، وهم : فردرك ١ بربروسا امبراطور ألمانيا، وريكاردوس (ريتشارد) قلب الأسد ملك انجلترا، وفيليب ٢ (أغسطس) ملك فرنسا، استولى

الصليبيون خلال هذه الحملة على عكا بعد حصار دام نحو سنتين (١١٨٩ - ٩١) فقام ريتشارد بقتل الأسرى، على أن الحملة فشلت فى استعادة القدس من صلاح الدين. وعقد ريتشارد هدنة لمدة ثلاث سنوات مع صلاح الدين ١١٩٢، سمح بموجبها للحجاج المسيحيين أن يفدوا إلى القدس للحج، بشرط ألا يتعرض أحد لهم بأذى.

الحملة الصليبية الرابعة: (١٢٠٢ - ١٢٠٤) ، قامت من فرنسا ولكن زعيمها انريكو داندالو البندقى الذى لم يكن راغبا فى الحرب وحولها عن أغراضها لخدمة مصالح بلده البندقية ، وساعد الصليبيون البنادقة، ونقل البندقية لهم على سفنها، على استعادة زارا من المجر ١٢٠٢ ، وعلى الرغم من سخط البابا الشديد عليهم بعد إقدامهم على نهب تلك المدينة المسيحية اتجهوا إلى القسطنطينية بحجة إعادة إسحق ٢ إلى العرش.

وفى ١٢٠٤، اقتحموا المدينة ونهبوها واقتسموا الغنائم مع البندقية، وأسسوا فيها الامبراطورية اللاتينية التى بقيت إلى ١٢٦١ .

حملة الأطفال (١٢١٢) ، هى حملة تثير الشفقة، دعا إليها صبى فرنسى فلاح يدعى ستيفن كلوى وتوجه آلاف من الأطفال إلى البلاد المقدسة، لكن ربابنة السفن المستهترين باعوهم بيع الرقيق، بدلا من إيصالهم إلى هدفهم، وزحف فريق من الأطفال الألمان برا، ولكنهم هلكوا من الجوع والمرض، **الحملة الصليبية الخامسة** : (١٢١٧ - ٢١) ، دعا إليها البابا انوسنت ٣ وكان هدفها الاستيلاء على مصر. واستولى الصليبيون على دمياط ولكنهم لم يلبثوا أن أخلوها وانتهت الحملة بالفشل.

الحملة الصليبية السادسة (١٢٢٨ - ٢٩) تولى قيادتها الامبراطور فردرك الذى كان فى الواقع زائرا مسالما. فتفاهم مع المسلمين وعقد ١٢٢٩ معاهدة مع الملك الكامل سلطان مصر، كان من شروطها التخلى عن الناصرة وبيت لحم والقدس للصليبيين ومنحهم ممرا بين القدس والساحل يسلكه الحجاج المسيحيون، على أنه لم تلبث أن تجددت الاشتباكات من حين لآخر بين الفريقين وأدت الهزيمة التى ألحقها المماليك بالصليبيين فى غزوة ١٢٤٤ إلى قيام **الحملة الصليبية السابعة** (١٢٤٨ - ٥٤) ، وقد تولى قيادة هذه

الحملة لويس ملك فرنسا، الذى اشتهر بورعه، وتمكن لويس من الاستيلاء على دمياط بلا قتال، فارتد المصريون إلى المنصورة حيث حاصرهم لويس، وفي هذه الأثناء كان الملك الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر، قد توفى ، وقامت بالدفاع امرأته شجرة الدر وفشلت حملة لويس، وأسر هو نفسه ولم يطلق سراحه إلا لقاء فدية كبيرة . **الحملة الصليبية الثامنة** (١٢٧٠) ، قادها أيضا لويس ٩ نفسه فأغار على تونس ولكن وفاته حالت دون استمرارها . **الحملة الصليبية التاسعة** (١٢٧١ - ٧٢) ، قادها الأمير ادوارد ١ (ملك انجلترا فيما بعد) وكان نصيبها الفشل أيضا ، وقد تمكن المماليك من طرد الصليبيين من الشرق الأدنى . وفى ١٢٩١ سقطت عكا آخر معقل للصليبيين فى الأراضى المقدسة . وقد أطلق اصطلاح حملة صليبية على حملات أخرى باركها البابا ، واستهدفت الهراطقة والوثنيين (مثل الونديين والالبجنسيين) ، كما أطلق الاصطلاح نفسه - فى شىء من التجاوز - على حملات وجهت فى القرنين ١٥، ١٦ ضد الأتراك . وقد نال بلاد الشام نتيجة لهذه الحروب خراب كثير ، أما أوروبا فقد استفادت حضاريا من تلك الحروب .

فقد احتك الأوروبيون بشعوب أرقى منهم فاستفادوا من نظمهم وأفكارهم وعلومهم ونشطت التجارة بين الشرق والغرب وساعدت الحروب المدن الأوروبية الناهضة؛ إذ استطاعت هذه أن تشترى حريتها بالمال الذي كان قادة الحروب من الأمراء فى حاجة دائمة إليه ، إلا أن هذا الصراع الطويل بين أوروبا والعالم الإسلامى ، ترك فى نفوس الأوروبيين والمسلمين ذكرى مؤلمة .

٨ - **حرب البارونات** : فترة الصراع بين الملك والبارونات فى التاريخ الانجليزى ، حدثت بين سنتى ١٢٦٣ و ١٢٦٧ ، رفض هنرى ٣ «شروط اكسفورد» ١٢٥٨ ، وقوانين وستمنستر ١٢٥٩، التى كانت قد منحت السلطة كلها لمجلس بارونات ، وعاد فأكد على سيادته وحقه فى تعيين المستشارين، فلجأ البارونات أخيرا فى ١٢٦٣ بزعامة سيمون دى مونتفرت إلى الحرب ، ورفضوا قرارا فى مصلحة الملك أصدره ملك فرنسا : لويس ٩ بصفته حكما بينهما ١٢٦٤ . وانتصر مونتفرت على لويس ١٢٦٤ ، وأجبر الملك على قبول الحكم مستعينا بالمجلس . ودعا ١٢٦٥ برلمان مونتفرت (انظر: البرلمان) لتوطيد سلطانه . ولكن تجددت الحرب من

جديد إثر ثورة أهل أقاليم الحدود ، وهم انجليز من الحدود بين انجلترا ومقاطعة ويلز أثارهم تحالف مونتفرت مع لولن آب جروفد والويلزيين ، قاد الأمير ادوارد (ادوارد ١ فيما بعد) القوات الملكية وانتصر في ايفشام ١٢٦٥ حيث قتل مونتفرت ، وأخيرا استسلم البارونات للملك ١٢٦٧ . ومع أنهم كانوا قد عجزوا عن وقف نمو سلطة الملك ، وعن تثبيت سلطة النبلاء ، فقد حطموا نفوذ أخوة هنرى (غير الأشقاء) الفرنسيين وغيرهم من المقربين في البلاط . وساعدوا في تمهيد السبيل للتطورات الدستورية في عهد الملك إدوارد الأول.

٩ - **حرب المائة عام** : (١٣٣٧ - ١٤٥٣) ، بين انجلترا وفرنسا. كان السبب الرئيسي للحرب أن ملوك انجلترا الذين كانوا ، بوصفهم دوقات مقاطعة جويين الفرنسية أتباعا لملوك فرنسا ، عارضوا سياسة العرش الفرنسي في جنوحها إلى تركيز السلطة في يده . وأبدى ملوك انجلترا امتعاضا متزايدا لتقديم ولائهم لفرنسا وخضوعهم لصاحب التاج الفرنسي بالنسبة لممتلكاتهم في قارة أوروبا . وكان من بين الأسباب المساعدة على نشوب

الحرب ادعاء ادوارد ٣ ملك انجلترا أحقيته بالتاج الفرنسي بوصفه حفيد فيليب ٤ ، كما شجرت خلافات بين ادوارد وفيليب السادس ملك فرنسا بشأن امتلاك بعض الأراضي وحميت المنافسة بين انجلترا وفرنسا في الفلاندر وأيد فيليب ٦ اسكتلندا ضد انجلترا ، وبدأ الشوط الأول (١٣٣٧ - ٦٠) من حرب المائة عام بإعلان ادوارد الثالث نفسه ملكا على فرنسا وتحالف مع الفلمنكيين بزعامة جاكوب فان ارتفلده وهزم الأسطول الفرنسي عند سلوى ١٣٤٠ . وهزم الجيش الفرنسي في معركة كريسي ١٣٤٦ واستولى على كاليه ١٣٤٧ ، وقضى على جيش جون ٢ ملك فرنسا وأسره في بواتييه ١٣٥٦ وأعطت معاهدة بريتنيي ١٣٦٠ كاليه وغ، ج غ فرنسا لانجلترا، وجاء الشوط الثاني من الحرب (١٣٦٩ - ٧٣) بسبب الضرائب المرهقة التي فرضها ادوارد الأمير الأسود ولي عهد انجلترا على النبلاء الفسكون ، وإهابتهم بالملك شارل ٥ (١٣٦٩) أن ينجدهم ، فاستعاد دي جسكلان القائد الفرنسي معظم الأراضي التي كانت فرنسا قد فقدتها في الشوط الأول . وبعد فترة من السكينة ، جدد هنري ٥ ملك انجلترا الحرب ١٤١٥ ، وأحرز انتصارا باهرا في معركة

أجنكور ، ثم ظفر بتحالف فيليب الطيب دوق برجنديا ١٤١٩ واعترف به شارل ٦ ملك فرنسا بمقتضى معاهدة تروا ١٤٢٠ وصيا على عرش فرنسا ووريثا له . ورفض ولى العهد (شارل ٧ فيما بعد) قبول تجريده من إرثه دون قتال . فبدأ من جديد قتالا غير متصل بعد وفاة شارل ٦ (١٤٢٢). وفى ١٤٢٩ أصبح الانجليز والبرجنديون سادة جميع الأراضى الفرنسية تقريبا ش نهر اللوار . ولكن ظهرت فى ذلك العام نفسه جان دارك التى فكت حصار الانجليز لمدينة أورليان ، وهزمتهم فى معركة باتاى ، وشهدت تتويج شارل ٧ فى كاتدرائية ريمس وتحول المد لصالح الفرنسيين . وفى ١٤٣٥ بدأ الدور الأخير من الحرب حينما انضمت برجنديا إلى فرنسا بمقتضى معاهدة آرا ، فأعاد الفرنسيون فتح باريس ١٤٣٦ وولاية نورمنديا (١٤٤٩ - ٥٠) وجميع مقاطعة جويين فيما عدا بوردو (١٤٤٩ - ٥١) وترك استيلاء الفرنسيين على بوردو ١٤٥٣ كاليه وحدها فى أيدى الإنجليز، ولم تقدم إنجلترا التى كانت تمزقها حرب الوردتين على أية محاولة لإعادة فتح الأراضى التى فقدتها ، وحولت أنظارها إلى زيادة قوتها البحرية وتوسيع تجارتها عبر البحار وكان ذلك أكبر من

اهتمامها بتوسيع ممتلكاتها فى القارة الأوروبية ، أما فرنسا التى كانت قد أهلكتها الحرب الطويلة فقد استعادت قوتها تحت حكم شارل ٧ ولويس ١١ اللذين انتهزا فرصة إبادة الطبقة الإقطاعية تقريبا ، فأعادا بناء ملكية مركزية ، وشهدت حرب المائة عام تحول الأساليب الحربية من الطرق الإقطاعية إلى النظام الحديث (استخدام المدفعية) ومن النظام الإقطاعى إلى اليقظة الأولى للأمم فى وعيها القومى .

١٠ - الحرب الهوسية : (١٤١٩ - ٣٦) ، صراع نشأ عن انتشار مذهب هوس فى بوهيميا مورافيا ، وكانت طبيعة هذا النضال دينية ، كما كانت قومية (إذ قام بين التشيك المعتنقين المذهب الهوسى ، والألمان الكاثوليك) وكان النضال ذا ناحية اجتماعية أيضا (بين التابوريين الراديكاليين الذين جاء أكثرهم من طبقة الفلاحين ، وبين أنصار الأوتراكيين المعتدلين الذين وجدوا فى النبلاء التشيكيين سندا ونصيرا) . فثار الهوسيون ١٨١٩ ليحولوا دون اعتلاء سيجسموند عرش بوهيميا . وهزم الهوسيون تحت قيادة ززكا ، وبعد ١٤٢٥ تحت قيادة بروكوبيوس الأعظم ، هزموا

سيجسموند (١٤٢٠ - ١٤٢٢) وغزوا سيليزيا (١٤٢٥ - ٢٦) وفرانكونيا (١٤٢٩ - ٣٠) .

١١ - **حرب الوردتين** : اسم أطلق على النزاع على عرش انجلترا (١٤٥٥ - ١٤٨٤) . بين أسرتى لانكستر (وكانت شارتها وردة حمراء) ، ويورك (وشارتها وردة بيضاء) . كان اللانكستريون قد احتفظوا بالعرش منذ خلع ريتشارد ٢ (١٣٩٩) . ووقع هنرى ٢ تحت سيطرة زوجته الملكة مرجريت انجو ، ووليم دى لابول دوق سفولك ، وادموند بدفورت دوق سمرست . وكان من معارضيهم ريتشارد دوق يورك ، الذى اكتسب تأييدا نتيجة للقلق الشعبى على الخسائر فى فرنسا والفساد فى البلاط . نفى سفولك وقتل ١٤٥٠ ، وعين يورك حاميا فى أثناء اختلال عقل الملك (١٤٥٣ - ١٤٥٤) . وكسب آل يورك معركة سنت البانز الأولى ١٤٥٥ . وبعد فترة من الهدوء النسبى أسر آل يورك هنرى فى معركة نورثامبتون ١٤٦٠ ، وعقدوا اتفاقا يخلف ريتشارد بموجبه هنرى . فجمعت الملكة (التى كان ابنها سيفقد الإرث) جيشا وقتلت يورك فى معركة ويكفيلد ١٤٦٠ . وأصبح ريتشارد نيفيل ايرل ووريك الزعيم الحقيقى للفريق اليوركى . وهزمت

مرجريت ووروبك وأنقذت هنرى ١٤٦١ . غير أن ابن ريتشارد كـان فى هـذه الأثنـاء قـد دخل لندن وتوج باسـم ادوارد ٤ ، وهزم اللانكسـتـريون مـرارا وهربت مـرجـريت إلى فـرنسـا . وسـجن هـنرى ١٤٦٥ ، وتنـازع ووروبك وادوارد حـول زواج الملك ١٤٦٤ ، وتآمـر ووروبك مـع جـورج دوق كـلارنس وهـربا إلى فـرنسـا وصـالح ووروبك مـرجـريت ، وعـاد إلى انجلتـرا ، وأرجع هنرى إلى العـرش ، وحـصل ادوارد على مـسـاعـدة ، واسـتعـاد العرش ١٤٧١ ، وقتل ووروبك ، وتوفى هـنرى بعده بقليل . وخلف ادوارد ١٤٨٣ ابنه البـالغ ١٢ سنة من العمـر باسم ادوارد ٥ . وسـيطر عـم الولد ونصب نفسـه ملكا باسم ريتشـارد ٣ . ودبر مـقـتل ادوارد ، وثار هنرى سـتـافورد دوق بكنجـهـام ١٤٨٣ ، ولكنه لـم ينجـح . فنزل المطالب بالعـرش اللانكسـتـرى هنرى ثيـودور فى انجلتـرا وهزم ريـتـشـارد فى ميدان بوزورث ١٤٨٥ ، وأصبـح ملكا باسـم هنرى ٧ . ووحـد الأسرتين بزواجـه من ابنة ادوارد ٤ . وقد أنهت مـدة الحـروب الإقطاع فى انجلترا لأنها أضـعفت النبلاء إلى حد عجزوا معه عن الحيلولة دون نهضة الملكية فى ظل آل ثيودور .

١٢ - **الحروب الإيطالية** : (١٤٩٤ - ١٥٢٩) ، أدت المنافسة بين الولايات الإيطالية التى ظهرت فى عصر النهضة إلى دعوة بعض دول أوروبا الناهضة ، وخاصة فرنسا واسبانيا ، للتدخل فى فض المنازعات القائمة بينها ، مما أدى إلى فقدان الإيطاليين حرياتهم واستقلالهم مدة قرون ثلاثة . وبدأت الحروب الإيطالية ١٤٩٥ حينما استولى شارل ٨ ملك فرنسا على نابلى ولكن حلفا من اسبانيا وامبراطور الدولة الرومانية المقدسة والبابا والبندقية وميلان أكرهه على التخلى عن نابلى ١٤٩٥ . وفى الدور الثانى من هذه الحروب (١٤٩٩ - ١٥٠٤) ، احتل لويس ١٢ ملك فرنسا ميلان وجنوة (وبالاشتراك مع اسبانيا) نابلى . ولكن الخلاف بين اسبانيا وفرنسا احتدم مما أدى إلى اندلاع الحرب بينهما ١٥٠٢ ، وهزم لويس فى تشيرينيولا ، وعلى نهر جاريليانو ١٥٠٣ ، أبرم معاهدات بلوا (١٥٠٤ - ٥) التى منحت فرنسا ميلان وجنوة ، ولكنها رهنت نابلى لاسبانيا ، ويتألف الدور الثالث من هذه الحروب (١٥٠٨ - ١٦) من ثلاثة أدوار فرعية: وهى الحملة الظافرة التى شنتها فرنسا واسبانيا والامبراطور مكسيمليان والبابا ضد البندقية ١٥٠٩ ، ثم ألف البابا

يوليوس العصبة المقدسة ١٥١٠ ليطرد الفرنسيين (البرابرة) من ايطاليا ، فطرد السويسريون الفرنسيين من لمبارديا (١٥١٠ – ١٣) ولكن فرنسيس ١ انتصر على الجيش السويسرى فى معركة مارنيانو ١٥١٥، وأعاد صلح نويون ١٥١٦ ميلان إلى فرنسا، وافتتحت الحروب بين فرنسيس ١ والامبراطور شارل ٥ (١٥٢١) فهزم فرنسيس ، ووقع أسيرا فى بافيا ١٥٢٥ وافتدى حريته بمهره معاهدة مدريد ١٥٢٦ التى تخلى فيها عن جميع دعاويه فى ايطاليا . ولكنه سرعان ما أطلق سراحه حتى نقض تلك المعاهدة ، وكون عصبة كوينياك بالتحالف مع البابا كلمنت ٧ وهنرى ٨ ملك انجلترا والبندقية وفلورنسا وبذلك بدأ حربا خامسة فاستولت جيوش شارل ٥ على روما ونهبتها ١٥٢٧ بينما استولى الفرنسيون على جنوة وحاصروا نابلى بمساعدة أندريا دوريا الذى تخلى عن فرنسيس ١ فاكره على قبول معاهدة كمبرى ١٥٢٩ . وتمكنت اسبانيا بعد نشوب حروب ثلاث أخرى جرت إلى مدى كبير خارج ايطاليا من الاحتفاظ بسيطرتها فى ايطاليا بمقتضى معاهدة كانو – كمبريسس .

١٣ - حرب الفلاحين : (١٥٢٤ - ٢٦) ، فتنة قام بها الفلاحون الألمان والطبقات الفقيرة فى المدن، اندلعت فى وسط وج ألمانيا لمحاربة استغلال الأشراف المتزايد لهم ، وضد اقتباس القانون الرومانى الذى كان يعد الفلاحين موالى أرض ، وضد الاعتداءات المتواصلة على حقوقهم ، وقد بينت مطالب الفلاحين فى ١٢ مادة ١٥٢٥ ، وكانت الفتنة دينية فى روحها إلى درجة ما . وشجعها المصلح الدينى زونجلى ، وقادها توماس مونتسر فى ثرنجيا، ولكن ندد لوثر بالعصاة تنديدا عنيفا ، فكان عاملا مهما فى هزيمتهم . وسحقهم الأمراء والعصبة السوابية ١٥٢٥. وفاق الغالبون فى فظائعهم الفلاحين الذين لم يبرأوا من اقتراف بضع جرائم وحشية . وقد تمكن الفلاحون فى التيرول من كسب بعض المنح (١٥٢٦) ، ولكن هزيمة الفلاحين أطالت بوجه عام نظام رقيق الأرض فى ألمانيا ثلاثة قرون تقريبا ، وعاقت تقدم الديمقراطية بها .

١٤ - الحروب الدينية : (١٥٦٢ - ٩٨) ، سلسلة حروب أهلية فى فرنسا ، كانت فى ظاهرها نضالا بين البروتستانت (انظر : الهيجونوت) والكاثوليك ، كما كانت

قتالا من أجل السلطان بين العرش وكبار الأشراف، وبين الأشراف أنفسهم للسيطرة على الملك ، وقاد الكاثوليك أسرة جيز ، وكان قادة البروتستانت البارزون على التتابع ، هم : لويس ١ ، دوق كندية ، وجسبار دى كوليني ، وهنرى ، ملك نفار (فيما بعد هنرى ٤ ، ملك فرنسا) . وانحاز حزب ثالث ، هم الكاثوليك المعتدلون ، إلى جانب البروتستانت ، بينما سعت، دون جدوى ، كاترين دى ميديتشي وابناها الملكان شارل ٩ ، وهنرى ٣ ، إلى إقامة توازن بين الشيعتين ، وتميزت هذه الحروب بالفظائع التى اقترفها كلا الجانبين ، وانتهت الحروب الثلاث الأول (١٥٦٢ - ٦٣ ، ١٥٦٧ - ٦٨ ، ١٥٦٨ - ٧٠) فى صالح البروتستانت ، وبدأت مذبحة عيد سان بارثلميو الحرب الرابعة (١٥٧٢ - ٧٣) ، وانتهت الحرب الخامسة (١٥٧٤ - ٧٦) بصدور مرسوم بوليو الذى منح حرية العبادة فى فرنسا كلها ، ماعدا باريس . وكون ١٥٧٦ الكاثوليك «العصبة» (المقدسة) ، وحملوا هنرى ٢ على إلغاء مرسوم التسامح ١٥٧٧ ، ثار اليهجونوت ونشبت حرب سادسة ١٥٧٧ انتهت بتثبيت مرسوم بوليو ، ولكن هنرى لم يعن بتنفيذه . ولم تكن للحرب السابعة ١٥٨٠ نتائج مهمة .

ولكن ترشيح هنرى ملك نفار لوراثة العرش الفرنسى أدى إلى قيام حرب الهنريين (جنع هنرى) الثلاثة (انظر : هنرى ٣ ، وهنرى ٤ ، وهنرى دوق جيز) وبعد ارتقاء هنرى ٤ العرش ١٥٨٩ طلبت العصبة من اسبانيا مساعدتها ، وهزم هنرى ٤ العصبة ، ودخل باريس ١٥٩٤ ، وأدت معاهدة فركان مع اسبانيا وصدور مرسوم نانت إلى إعادة السلام إلى فرنسا ١٥٩٨.

١٥ - **حرب الثلاثين عاما** : (١٦١٨ - ٤٨) حرب أوروبية عامة ، كانت ألمانيا مسرحها الرئيسى ، وتعددت الأسباب التى من أجلها نشبت : أسباب تملك الأرض ، ومنازعات بشأن الوراثة ، وأسباب دينية ، وتخللت طوال الحرب المحالفات المتغيرة ، غير الثابتة ، ومعاهدات الصلح الإقليمية ، والنضال كله فى الأصل بين عدد من الأمراء الألمان ، آزرتهم بعض الدول الأجنبية مثل فرنسا والسويد وانجلترا والدنمارك ضد اتحاد الامبراطورية الرومانية المقدسة وآل هابسبرج الذين كانوا يحكمون وقتئذ اسبانيا والامبراطورية والنمسا وبوهيميا وهنغاريا ومعظم ايطاليا / وج الأراضى المنخفضة (بلجيكا) ، وبدأت الحرب حينما خلع

نبلاء بوهيميا البروتستانت الملك فرديناند (صار فيما بعد الامبراطور فرديناند ٣) وانتخبوا فردرك «ملك الشتاء» فى مكانه ، وهزمت قوات الامبراطورية بقيادة تلى وجيوش العصبة الكاثوليكية بقيادة مكسيميليان ١ دوق بافاريا ، هزمت البوهيميين فى معركة الجبل الأبيض ١٦٢٠، كما خرجت منتصرة فى البلاتينات على مانسفلد وكرستيان دوق برنزوك (١٦٢٢ – ٢٣) ولكن تدخل كريستيان ٤ ملك الدنمارك فى جانب الفريق البروتستانتى ، فبدأ طور جديد ، ولكن الدنماركيين هزموا أمام تلى وفالنشتين فاضطروا إلى توقيع معاهدة لنبك ، وانسحبوا من الحرب ١٦٢٩ ، وظهر سبب جديد لمواصلة القتال ١٦٢٩ حينما حاول فرديناند ٢ أن ينفذ صلح أوجسبورج المبرم ١٥٥٥ ، وأن يصادر الأراضى التى نزعت من الأمراء الأساقفة بعد ١٥٥٢ ، فسار جوستاف ملك السويد ، ومعه فرنسا ، إلى ألمانيا ، وتغلغل داخلها وهزم القوات الامبراطورية فى بريتنفلد ١٦٣١ وعلى نهر اللخ ١٦٣٢ وفى لتزن ١٦٣٢ . ومع أنه قتل فى نصره الأخير ، إلا أن السويديين واصلوا الحرب . ولكن يبدو أن المد تحول ١٦٣٤ إلى جانب الامبراطورية ، إذ أحرزت نصر نوردنجن

العظيم ، فأُبرم صلح بين الدويلات الألمانية فى براج ١٦٣٥ .
غير أن فرنسا خشيت انتصار الامبراطور وطرد السويد من الأراضى الألمانية ، فانضمت علانية إلى السويد ، وبذلك دخلت الحرب دورها النهائى شديد الضراوة والتخريب ، وامتدت مساحاتها إلى الأراضى المنخفضة ، وايطاليا ، وشبه جزيرة ايبريا وسكندناوة ، ونزلت الخطوب بالامبراطورية خلال معظم هذه الفترة ، فانتصر برنارد دوق سكس - فيمار، والقائد السويدى بانير على القوات الامبراطورية فى ألمانيا ، وكسب ١٦٣٦ بانير انتصارا رائعا فى فتشتك ، واستولى على بريستاغ ١٦٣٨ ، وبدأت مفاوضات الصلح قبل ١٦٤٠ ، ولكن واصل فى الوقت عينه السويديون بقيادة تورستنسن ورانجل ، والفرنسيون بقيادة لويس ٢ دوق كندية وتورن، واصلوا القتال ، وأحرزوا عدة انتصارات رغم بعض الهزائم المؤقتة ، واستمر القتال حتى أبرم صلح وستفاليا ١٦٤٨ ، بل استمر فى حالة فرنسا واسبانيا حتى عقد صلح البرانس ١٦٥٩ ، وخربت الحرب ألمانيا ، ودمرت مدنها ، وانقصت سكانها وأجاعت أهلها ، وصارت الإمبراطورية الرومانية المقدسة طبلا أجوف ، وبدأ البيت المالك النمسوى

يضمحل ، ويفقد صولته . وخرجت فرنسا دولة أوروبا العظمى .

١٦ - الحروب الهولندية : (١) (١٦٥٢ - ١٦٥٤)

حرب بين انجلترا والهولنديين نتيجة أزمة فى التنافس بينهما على نقل التجارة العالمية وعجل بها مصادرة الانجليز للسفن التجارية الهولندية ، وقانون الملاحة ١٦٥١ الموجه ضد التجارة الهولندية مع الممتلكات البريطانية ، وبدأت الحرب بالقتال البحرى بين روبرت بليك ومارتن ترومب (مايو ١٦٥٢). وانتصر ترومب على بليك بالقرب من دنجنس (نوفمبر ١٦٥٢) ، وسيطر الهولنديون على المانش ثم تحطمت سيطرتهم بانتصار الإنجليز فى بورتلاند ١٦٥٣ ، وبعد انتصارهم بالقرب من شاطىء جبارد حاصروا الشاطىء الهولندى ، فهاجم ترومب الأسطول المحاصر (٣١ يولية ١٦٥٣) وهزم . وتم توقيع الصلح فى ابريل ١٦٥٤ ، ووافق الهولنديون على تحية العلم البريطانى فى البحار الإنجليزية ودفع التعويضات عن الخسائر الإنجليزية وعرض المطالبة بالأراضى على هيئة تحكيم (٢) (١٦٦٤ - ١٦٦٧) حرب أخرى بين الهولنديين والانجليز . استمر الهولنديون فى

تهديدهم للتفوق التجارى لانجلترا ، وفى ١٦٦٤ ، غزا الانجليز المستعمرات الهولندية على الشاطىء الأفريقى واستولوا على الأراضى المنخفضة الجديدة بأمريكا الشمالية. وأعلنت انجلترا الحرب (مارس ١٦٦٥) وانتصر دوق يورك (جيمس ٢ فيما بعد) فى معركة لوستوفت فى يونية ١٦٦٥ . وفى سبتمبر غزا أسقف منستر حليف انجلترا المقاطعة الشرقية من الأراضى المنخفضة ولكنه طرد ، وأعلن لويس ١٤ملك فرنسا الحرب على انجلترا (يناير ١٦٦٦) ، ولكنه لم يشترك فى الحرب إلا قليلا وهزم الأسطول البريطانى بقيادة مونك والأمير روبرت فى معركة الأيام الأربعة أو معركة دونز (١ - ٤ يونية ١٦٦٦) على يد ميشيل دى رويتر وكورنيليس ترومب ثم هزما فى أغسطس السفن الهولندية ودمراها على طول الساحل الهولندى ، وترك شارل ٢ الأسطول فى حالة نقص فيها استعداده ، فأوقع دى رويتر خسائر فادحة بغزواته للتيمس ١٦٦٧ . وفى معاهدة بريدا (يولية ١٦٦٧) عدلت قوانين التجارة لصالح الهولنديين واحتفظ كل فريق بفتوحه . فاستولى الانجليز على نيويورك ونيوجرسى وديلاوير واستولى الهولنديون على سورينام ورد الانجليز

والفرنسيون ما فتحه كل منهما للآخر . (٣) (١٦٧٢ - ١٦٧٨) ، أول الحروب الكبيرة التى قام بها لويس ١٤ ملك فرنسا ، للقضاء على منافسة الهولنديين للتجارة الفرنسية وتوسع الامبراطورية الفرنسية . وبعد أن تحالف لويس مع شارل ٢ ملك انجلترا ومع السويد وبعض الولايات الألمانية غزا المقاطعات الجنوبية من الأراضى المنخفضة فى مايو ١٦٧٢ وتوقف زحفه على أمستردام لما قطع الهولنديون الجسور وهزم دى رويتر الأسطولين الانجليزى والفرنسى فى خليج سوثولد. ولما ازدريت عروض السلام الهولندية قامت الثورة وتسلم وليم أورنج (وليم الثالث ملك انجلترا فيما بعد) القيادة من يان دى فيت يوليو ١٦٧٢ . وفى ١٦٧٣ حصل الهولنديون على تأييد أسبانيا والامبراطور وبراندنبورج والدنمارك ودول أخرى فعقدت انجلترا الصلح ١٦٧٤ وانتصر الفرنسيون برا (معارك ماسترشت وسنيف وسنزهيم وكاسل وفريبورج) بقيادة لويس ٢ كونديه وتورين ، وفى الحملة البحرية بقيادة ابراهام دبكسن وعقد صلح نيجمجن (١٦٧٨ - ١٦٧٩) فردت ماسترشت للهولنديين وعدلت الرسوم الجمركية الفرنسية لصالحهم ، وفى المعاهدة المعقودة مع

اسبانيا حصلت فرنسا على فرانش كونتيه وسلسلة من حصون الحدود مقابل الجلاء عن الأراضى المنخفضة الاسبانية . وفى المعاهدة مع الامبراطور ١٦٧٩ ثبتت فرنسا فى ملكيتها لفريبورج وجزء من اللورين ..

١٧ - حرب الوراثة : (١٦٦٧ - ١٦٦٨) ، بين فرنسا واسبانيا بسبب مطالب لويس ١٤ القانونية المعقدة فى الأراضى المنخفضة الاسبانية . فغزاها الفرنسيون كما غزوا فرانش كونتيه . ولكن عقدوا الصلح حين كونت المقاطعات المتحدة الهولندية المحالفة الثلاثية مع انجلترا والسويد ضد فرنسا . (انظر : اكس لاشابل ، معاهدة) .

١٨ - حرب الوراثة الاسبانية : (١٧٠١ - ١٧١٤)، آخر الحروب الأوروبية العامة ، التى نتجت عن محاولة لويس ١٤بسط سيطرة فرنسا على أوروبا ، قامت للحصول على حق وراثة الامبراطورية الاسبانية ، عقب موت شارل ٢ ، آخر ملوك الهابسبرج باسبانيا . استمرت المفاوضات الخاصة بوراثة عرش ملك لا ولد له سنوات عديدة . وكان المطالبون بأحقية الوراثة الاسبانية (١٦٩٩) ، لويس ١٤ باسم حفيده فيليب وهو من أحفاد فيليب ٤ ملك اسبانيا ، والامبراطور

ليوبولد الأول رأس أسرة الهابسبرج بالنمسا باسم ابنه شارل (الامبراطور شارل ٦ فيما بعد) وكان اتحاد ممتلكات الهابسبرج الاسبانية والنمساوية أمرا لا توافق عليه انجلترا وفرنسا والأقاليم المتحدة بالأراضى المنخفضة ، كما لم تكن لتوافق على توحيد فرنسا واسبانيا بزعامة أسرة البوربون . وفى ١٧٠٠ أوصى شارل فى مرض موته بعرشه لفيليب حفيد لويس ١٤ ، الذى أصبح يعرف بفيليب ٥ ملك اسبانيا ، فاتحدت انجلترا وهولندا والنمسا ضد فرنسا ، وانضمت إليها غالبية الولايات الألمانية ، وانحازت باقاريا إلى فرنسا . كما انضمت إليها البرتغال وساڤوى حتى ١٧٠٣ عندما انضمتا لأعداء فرنسا ، وبدأت الحرب فى الأراضى المنخفضة وايطاليا ١٧٠١ ، وأصبحت عامة ١٧٠٢ . وكان فيلار وفندوم من القواد الفرنسيين ندين لقائدى القوات المتحالفة مارلبورو ويوجين ، وبالرغم من الانتصارات الرئيسية فى هذه الحرب فى مواقع بلنهايم وجبل طارق١٧٠٤ ، وأودينارد ١٧٠٨ ، وملبلاكيت ١٧٠٩ ، فلم تكن المعارك باسبانيا وايطاليا والأراضى المنخفضة حاسمة . انسحبت انجلترا من القتال ١٧١١ ، وانتهت الحرب بين فرنسا وانجلترا وهولندا بمعاهدة

أوترخت (أبريل ١٧١٣) . وفى النهاية وافق الامبراطور على معاهدات رستاد وبادن . وكانت انجلترا وهولندا الدولتين الفائزتين فى هذه الحرب . أما فرنسا فكان عليها أن تتفق مع النمسا . وعرف هذا الصراع فى أمريكا باسم حرب الملكة آن (انظر : الحروب الفرنسية الهندية) .

١٩ - حرب المحالفة العظمى : (١٦٨٨ - ١٦٩٧) ، حرب بين فرنسا ودول حلف أوجزبرج المعروف بالمحالفة العظمى بعد ١٦٨٩ . كان لويس ١٤ نال وعدا بتأييد جيمس ٢ملك انجلترا الذى خلعه وليم ٣ وفشل تأييد فرنسا للثورة المضادة بأيرلندا لانتصار وليم ببوين ١٦٩٠، وانتصرت انجلترا أيضا بحرا بلاهاى (١٦٩٢) ، ولكن فرنسا هزمت الحلفاء برا بفلوريس ١٦٩٠ ونامور١٦٩٢ ونيرفندن ١٦٩٣ ومارسيليا ١٦٩٣ وانتهت الحرب بمعاهدة ريزويك ، وتعرف هذه الحرب فى أمريكا بحرب الملك وليم .

٢٠- الحروب الفرنسية الهندية : (١٦٨٩ -١٧٦٣)، تطلق على حروب أمريكا الشمالية الاستعمارية بين انجلترا وفرنسا فى نهاية القرن ١٧ وخلال القرن ١٨، وتتصل بحروب المحالفات الأوروبية، هدفها السيطرة على الجزء الشرقى من

قارة أمريكا الشمالية بسقوط بعض الاستحكامات الساحلية والقلاع الغربية والهجوم على حدود المستعمرات ومحاربة الهنود على الحدود. كانت أولى هذه الحروب حرب الملك وليم، وتقابل فى أوروبا حرب المحالفة العظمى (١٦٨٨ - ١٦٩٧). وفى أمريكا تميزت بالهجوم على حدود المستعمرات البريطانية، واستيلاء القوات الاستعمارية البريطانية على بورت رويال، ثم حرب الملكة آن (١٧٠١ - ١٧١٣)، وتقابل حرب الوراثة الاسبانية. وارتبطت حرب الملك جورج (١٧٥٤- ١٧٤٨)بحرب الوراثة النمساوية (١٧٤٠ - ١٧٤٨). وكانت آخر وأهم هذه الحروب الحرب الفرنسية الهندية (١٧٥٤ - ١٧٦٠). وتتصل بحرب السنوات السبع. استولى فيها البريطانيون على القلاع الفرنسية فى الغرب، فوقعت لويزبرج فى يد لورد أمهرست ١٧٥٨، وسقطت كويبك فى أيدى البريطانيين. وأنهت معاهدة باريس ١٧٦٣ سيطرة فرنسا على كندا والغرب.

٢١- الحروب الروسية التركية: (١٦٩٦ - ١٨٧٨)

سلسلة من الحروب التى أعلنتها روسيا ضد تركيا المتداعية،

فى سبيل توسعها العظيم وتحقيق الهدف الأول لبطرس الأكبر، وهو الوصول إلى سواحل البحر الأسود. ثم تحول فيما بعد هذا الهدف إلى فتح القوقاز والسيطرة على دول البلقان المسيحية. ففى ١٦٩٦ كسب بطرس أول نصرا فاصلا على الأتراك باستيلائه على مدينة آزوف المنيعة. غير أن السلطان أحمد ٣ انضم إلى النمسا فى حربها ضد روسيا (١٧٠٠ – ١٧٢١)، واسترجع آزوف بمقتضى معاهدة بروث ١٧١١. وكان هذا آخر انتصار أحرزته الجيوش التركية ضد عدوها الأكبر (أنظر: الحرب الشمالية). ولكن روسيا استعادت آزوف فى حرب (١٧٣٦ – ٣٩)، واحتلت ولاية البغدان ثم أكرهت على النزول عن هذه المكاسب، بعد أن انسحبت حليفتها النمسا من القتال وعقدت صلحاً منفرداً (صلح بلغراد) ١٧٣٩. وأعلنت كاترين ٢ حربها الأولى (١٧٦٨ – ٧٤) على تركيا التى تحالفت مع بولندا، وفيها فتح الروس شبه جزيرة القرم ١٧٧١، ثم اكتسحوا البغدان والأفلاق (رومانيا)، وانتهت بمعاهدة كيشاف فينرجى التى نصت على استقلال القرم عن تركيا وجعل روسيا حامية

للرعايا المسيحيين الخاضعين للباب العالى. وأخذت روسيا والنمسا تفكران ١٧٨١، فى تقسيم الامبراطورية العثمانية. ومن هذا الحين أصبح مصير تركيا مصدر قلق لدول أوروبا الغربية، وخلق ماعرف بالمسألة الشرقية. وفى ١٧٨٣، ضمت روسيا دون إنذار إقليم القرم، مما أدى إلى نشوب الحرب بين الدولتين. ودخل جوزيف ٢ امبراطور النمسا الحرب (١٧٨٧ - ٩٢) فى جانب كاترين ٢. انتهت الحرب بمعاهدة ياسى ١٧٩٢ التى منحت روسيا بمقتضاها ج. غ أوكرانيا وثغر أودسا. وعزل سليم ٣ والي الأفلاق والبغدان فنشبت الحرب بين روسيا وتركيا (١٨٠٦ - ١٢). وانتهت بظفر روسيا بولاية بساربيا فى معاهدة بوخارست ١٨١٢.

٢٢- الحرب الشمالية: (١٧٠٠- ١٧٢١)، نزاع نشب من جراء رغبة جارات السويد فى تحطيم السيطرة السويدية على ش أوروبا. ففى ١٦٩٩ تحالف بطرس ١، قيصر روسيا، وفردرك ٤، ملك الدنمارك، وأغسطس ٢، ملك بولندا وسكسونيا، تحالفوا معاً ضد شارل ١٢ ملك السويد. وشبت الحرب (١٧٠٠)، ورغم تفوق الحلفاء الثلاثة تفوقا هائلاً، أكره

ملك السويد الشاب الدنمارك على الخروج من الحرب، وهزم بطرس هزيمة منكرة فى نارفا ١٧٠٠، واستولى على وارسو وكراكاو ١٧٠٢، وأفلح فى انتخاب ستانسلاوس ١ ملكاً على بولندا ١٧٠٤، وأرغم أغسطس على التخلى عن بولندا، وعن تحالفه مع روسيا (معاهدة الترانشتاد ١٧٠٦). وفى ١٧٠٧ غزا شارل أوكرانيا بمساعدة مزبا، ولكنه هزم هزيمة شديدة على يد بطرس فى معركة بلطاوة ١٧٠٩، فلجأ إلى تركيا، وأمكنه حمل السلطان على إعلان الحرب على روسيا ١٧١٠. واستطاع بطرس أن يرشو بطانة السلطان، ويحملهم على عقد معاهدة بروث ١٧١١. فأصبح مركز شارل حرجاً، ومع ذلك فقد ظل يقيم بتركيا حتى ١٧١٤. وفى الوقت عينه أعاد أغسطس فتح بولندا، وأكمل بطرس فتح لفونيا، وانجرمانلند، وكاريليا السويدية. واستأنفت الدنمارك القتال متحدة مع هانوفر وبروسيا.. ومع ذلك لم تلن قناة شارل، فإنه غزا النرويج ولكن أصابته رصاصة قاتلة ١٧١٨. وبمقتضى معاهدات ستوكهلم وفريديريكسبورج (١٧١٩ - ٢٠)، عقدت السويد الصلح مع الدول المتحالفة ضدها، ماعدا روسيا،

فنزلت عن دوقيتي فردن وبريمن إلى هانوفر. وبمقتضى معاهدة نيشتاد ١٧٢١، نزلت السويد عن لفونيا، وانجرمانلند، وجزء من كاريليا إلى روسيا. وأصبحت روسيا إحدى دول أوروبا العظمى.

٢٣-حرب الاستقلال الأمريكية: (١٧٧٥ - ١٧٨٣)

النضال الذى انتهى بحصول الولايات الثلاثة عشرة المطلة على المحيط الأطلنطى فى أمريكا الشماليةعلى استقلالها عن بريطانيا العظمىوقيام الولايات المتحدة، ففى منتصف القرن ١٨ اتسعت الخلافات بين بريطانيا والمستعمرات الصغيرة الممتدة بين البحر والجبال من حيث طريقة الحياة والتفكير والمصالح. كانت بريطانيا، كغيرها من القوى الاستعمارية فى القرن ١٨، تتبع سياسة تجارية جعلت كثيراً من المستعمرين يشعرون بأنها تحد من نشاطهم بغير وجه حق. بيد أن الأسباب الرئيسية للاضطراب لم تظهر إلا بعد ١٧٦٣، ففى ذلك العام أنهت معاهدة باريس الحرب ضد الفرنسيين والهنود، وأزاحت عن المستعمرات ماكان يتهددها من أخطار دامت وقتاً طويلاً. وأثار قانون الدمغة فى ١٧٦٥ تذمراً عنيفاً

بين شعب المستعمرات فهاجمه زعماؤهم، وتكونت جمعيات أبناء الحرية. ودعى مؤتمر للاحتجاج على تعدى البرلمان الانجليزى على حقوق الرعايا الأحرار، بفرضه الضرائب على المستعمرين دون أن يمثلوا بطريقة مباشرة في الهيئة التشريعية العليا. وزادت الاضطرابات عندما أصدرت حكومة تاونزند فى ١٧٦٧ قوانين تاونزند الخاصة بفرض الضرائب على بعض *الواردات*. ولم يؤد إلغاء هذه القوانين فى ١٧٧٠ إلا إلى تهدئة الهياج مؤقتاً، إذ إن ضريبة الشاى ظلت قائمة لإثبات حق البرلمان في فرض الضرائب، وأدى الشعور بالسخط الشديد فى مجموعة المستعمرات المعروفة باسم نيوانجلند إلى المظاهرة المعروفة «حفل شاى بوسطن» فى ١٧٧٣. وعلى الرغم من حجج وليم بت الأكبر وادموند بيرك، أجاب البرلمان على ذلك بإصدار ما يعرف لدى المستعمرين بالقوانين غير المحتملة، ومن ثم بدأت المقاومة بسرعة، وانعقد المؤتمر الأول فى ١٧٧٤، وفيه تم الاتفاق على مقاطعة المستعمرات للواردات البريطانية حتى تسوى مظالمهم. وفى المؤتمر الثانى ١٧٧٥، اختير جورج واشنطن ليتولى قيادة

القوات المسلحة، وأعلن استقلال المستعمرات الثلاثة عشرة، وقد أصبحت وثيقة إعلان الاستقلال فى ٤ يوليو ١٧٧٦ التى صاغها توماس جيفرسون من أهم الوثائق التاريخية فى كافة العصور. وتعتبر واقعة ساراتوجا الموقعة الحاسمة فى الحرب، فقد سهل انتصار الثوار فيها أمر تحالفهم مع فرنسا عندما وقع فرانكلين وفرجين معاهدة ١٧٧٨، ودخلت اسبانيا الحرب إلى جانب الثوار ضد انجلترا فى ١٧٧٩. وأدت موقعة كارولينا فى (١٧٨٠ - ١٧٨١)، إلى موقعة بوركتون وتسليم القائد كورنواليس، وبذلك انتهت الحرب، وكسب الثوار المعركة. واعترفت معاهدة باريس رسمياً بمولد الأمة الجديدة فى ١٧٨٣، وان كانت قد تركت بعض المسائل معلقة وكان لهذه الديمقراطية الناشئة أثرها فى حوادث الثورة الفرنسية، ولاشك انها فيما بعد ساعدت على إلهام الثوار فى المستعمرات الأسبانية فى أمريكا.

٢٤- **حرب السنين السبعة:** (١٧٥٦ - ٦٣)، صراع جرى فى أرجاء متعددة من العالم. فنشب القتال فى أوروبا وشمال أمريكا والهند، بين فرنسا والنمسا وسكسونيا وروسيا

والسويد، (وبعد ١٧٦٢) واسبانيا من جانب، وبروسيا وانجلترا وهانوفر من جانب اخر. وكان هناك سببان رئيسيان للنزاع (١) المنافسة الاستعمارية بين انجلترا وفرنسا فى أمريكا (أنظر: حروب فرنسية هندية)، وفى الهند (أنظر: كلايف ودبيليه) (٢) النضال فى سبيل السيطرة والنفوذ فى ألمانيا بين ماريا تيريزا ملكة النمسا وفردريك٢ ملك بروسيا. واستخدمت الدول السنين التى تلت حرب الوراثة النمساوية (انتهت ١٧٤٨) فى العمل لإبرام الأحلاف، تمهيداً للنزول فى حلبة النضال من جديد. وبدأ القتال بغزو بروسيا لسكسونيا ١٧٥٦ وبوهيميا ١٧٥٧. ولكن النمساويين هزموا فردرك هزيمة منكرة فى معركة كولين ١٧٥٧، واضطر أن يجلو عن بوهيميا ولكنه هزم النمساويين فى موقعتى رسباخ ولبتن فى أواخر ذلك العام، وهزم الروس فى زندورف ١٧٥٨ ولكن مركزه أصبح حرجاً بعد هزيمته فى معركتى كونرسدورف وماكسن ١٧٥٩ أمام النمساويين. واحتل الروس برلين لمدة قصيرة عام ١٧٦٠ ولكن فردرك أقصاهم عنها، وهزم جيوش النمسا فى ترجاو، ولكن لم يصبح انتصاره النهائى مؤكداً إلا

بعد اعتلاء بطرس٣، قيصر روسيا، العرش. فقد عقد معه صلحاً منفرداً ١٧٦٢. وفى الوقت عينه نشطت انجلترا للقتال تحت زعامة رئيس وزرائها وليم بت (صار فيما بعد لورد تشاتام). وأحرزت انتصارات فى معارك كريفلد، ومندن، وخليج كيبرون فى أوروبا، ولويزبرج، وكويبك فى أمريكا الشمالية، وبلاسى فى الهند (١٧٥٧ - ٥٩). وعقد الصلح، بعد مفاوضات طويلة معقدة فى هوبرتسبرج، وفى باريس (انظر: باريس، معاهدة ١٧٦٣). وثبتت الحرب مركز بروسيا الجديد كدولة عظمى، وجعلت انجلترا الدولة الاستعمارية الكبرى فى العالم، على حساب فرنسا.

٢٥- حروب الثورة الفرنسية: (١٧٩٢ - ١٨٠٢)، حرب أوروبية عامة نتيجة للثورة الفرنسية. اتخذ الثوار تصريح بلنتز ذريعة لإعلان الحرب على النمسا ١٧٩٢. ولم تلق الجيوش النمسوية والبروسية المتحالفة إلا مقاومة ضئيلة فى البداية وغزت فرنسا ولكن موقعة ڤالمى كانت نقطة تحول. وفى أواخر ١٧٩٢، غزا الفرنسيون الأراضى المنخفضة النمسوية وعبروا الراين إلى ألمانيا، واستولوا على ساڤوى

ونيس من سردينيا. وأعلن المؤتمر الوطنى تصميمه على حمل لواء الثورة إلى أوروبا كلها. فأدى ذلك بالإضافة إلى إعدام لويس ١٦ إلى تكوين التحالف الأول (النمسا وبروسيا وانجلترا وهولندا واسبانيا). وفى هذا المأزق، أنشئت لجنة الأمن العام فى فرنسا، وتقرر التجنيد العام وكونت اللجنة بإشراف لازار كارنو جيوشاً جديدة صدت الحلفاء عن فرنسا فى نهاية ١٧٩٣ تقريباً. وهاجم الفرنسيون مرة أخرى الأراضى المنخفضة ١٧٩٤، وتحولت هولندا إلى الجمهورية الباتافية وعقدت الصلح ١٧٩٥، كما فعلت بروسيا واسبانيا (معاهدة بازل ١٧٩٥). ووضع كارنو خطة هجوم ثلاثى الشعب على النمسا وسردينيا: يتقدم جوردان جنوباً بشرق من الأراضى المنخفضة، ويهجم مورو على ج ألمانيا، ويهجم بونابرت على بيدمونت ولومبارديا ويعبر الألب لملاقاة جوردان ومورو. ونجحت الحملة على ايطاليا وحدها نجاحاً تاماً، فتعاقب فيها النصر تلو النصر (أنظر نابليون الأول) وانتهت بمعاهدة كامبو فورميو ١٧٩١، وبقيت انجلترا وحدها فى ميدان الحرب، وفشل بونابرت فيما كان يرجوه من ضرب انجلترا عن طريق مصر والهند فشلا تاما.

وانتهى الأمر بتدمير الأسطول الفرنسي بأبى قير ١٧٩٨ وأدى تدخل فرنسا في ايطاليا وسويسرا ومصر إلى التحالف ٢ (انجلترا وروسيا والنمسا وتركيا والبرتغال ونابولى). ورجع بونابرت سريعاً من مصر إلى فرنسا. وأقام نفسه قنصلاً أول، وبدأ يعوض خسائر فرنسا فى ايطاليا وسويسرا. وسهلت أخطاء التعاون بين النمسويين والروس انتصار ماسينا على الروس فى زيوريخ (سبتمبر ١٧٩٩)، الذى أعقبه انسحاب سوفارف الشهير عبر الألب، وخروج روسيا من التحالف. وفى ١٨٠٠ عبر بونابرت ممر سان برنار وهزم النمسويين فى مارنجو، وقضى انتصار مورو فى هوهنلندن (ديسمبر ١٨٠٠) على المقاومة النمسوية، وقبلت النمسا صلح نونفيل ١٨٠١، وانهار التحالف ٢. واستمرت انجلترا فى الحرب وحدها واشتركت فى طرد الفرنسيين من مصر، ودمرت الأسطول الدنماركى المحايد (أنظر: كوبنهاجن، معركة) ولكنها بعد انسحاب بت عقدت الصلح أيضاً مع فرنسا وحلفائها (اسبانيا والجمهورية الباتافية) بمعاهدة اميانز ١٨٠٢ ولم يعمر السلم طويلاً وبدأت ١٨٠٣ حروب نابليون الأول.

٢٦-الحـرب الطرابلسـيـة: (١٨٠١ - ٥)، سلسلة حملات أنفذتها الولايات المتحدة ضد الأقاليم المغربية، بعد أن رفـضت أمـريكا مطالب داى الجـزائر، بزيادة الجـزية التى تدفعها له بمقتضى معاهدة عقدت معه فى ١٧٩٩ كى يمنع القرصنة. أنفذت الولايات المتحدة حملات بحرية ضد طرابلس فى (١٨٠١، ١٨٠٣، ١٨٠٤) وحـملة برية. ومن بين الأحـداث المهـمـة إطلاق سـتـيـفن ديكاتور النار ١٨٠٤ على سـاحل طرابلس. قاد ديكاتور حملة ضد الجزائر ١٨١٥ .

٢٧- حـرب شـبـه الجـزيرة: (١٨٠٨ - ١٤)، نضـال نشب بين فـرنسـا من جـهـة، وبريطانيـا والبـرتغـال ورجـال العصابات الأسبـان فى شبـه جـزيرة ايبـريا. بدأت الحـرب برفض البـرتغال الإذعـان لنابليـون فى تنفيذ النظام القارى. فاحتلت الجنود الفرنسية البرتغال بمساعدة أسبانيا، وذلك بمقتـضى اتفاقـية سرية (أكـتوبر ١٨٠٧) بين الدولتين. ولكن نابليون انتهز فرصة وجود جنده بشبه الجزيرة وقيام فتنة (١٨٠٨) دبرت لخلع الملك شارل ٤، واجلاس ابنه فرديناند ٧ على العرش، فاحتل مدريد وبعض مدن اسبانية أخرى. نشبت

ثورة، قمعها الفرنسيون بعنف، وأغوى نابليون شارل ٤ وفرديناند ٧ على الذهاب إلى فرنسا، حيث أكرههما على النزول عن العرش ونودى بأخى نابليون، جوزيف بونابرت، ملكاً على اسبانيا (١٥ يونيه ١٨٠٨). فثار الاسبان والبرتغاليون فى طول البلاد وعرضها. واضطر الملك جوزيف إلى الجلاء عن مدريد (١أغسطس) ورد الفرنسيون عن ساراجوسا. ونزلت قوة انجليزية بقيادة ولنجتون لمساعدة الثوار البرتغاليين، وهزمت جونو فى موقعة فيميرو (٢١ أغسطس)، فسلم جونو لشبونة، ووافق على إجلاء جنوده عن البرتغال، وإعادتهم إلى فرنسا (اتفاقية سينترا) وغزا سير جون مور اسبانيا، فسارع نابليون بنفسه إلى اسبانيا يقود حملة من مائتى ألف مقاتل، واستولى جنوده على مدريد (٣ ديسمبر) وأمر المارشال صول بمطاردة مور، الذى أكرهته هزيمته فى كورونا على الإبحار بجنوده من اسبانيا ولكن ولنجتون أحرز عدة انتصارات (أبريل ١٨٠٩) أقصت الفرنسيين من الأراضى البرتغالية، وصد هجومهم فى بوساكو ١٨١٠، وحال دون انضمام قوات صول إلى جيش

ماسينا ١٨١١. وهزم ولنجتون الذى صار القائد الأعلى، قوات الملك جوزيف، والمارشال جوردان هزيمة فاصلة فى فتوريا ١٨١٣، وغزا فرنسا. ووصل إلى تولوز حيث بلغته فى ١٢ أبريل ١٨١٤ أنباء تنازل نابليون. وبذلك انتهت حرب شبه الجزيرة التى رفعت هيبة بريطانيا الحربية، وساعدت كثيراً على كبوة نابليون النهائية.

٢٨-حرب عام ١٨١٢ : قامت بين الولايات المتحدة وبريطانيا (١٨١٢ - ١٨١٥)، بسبب رغبة الأمريكيين فى تمتع السفن الأمريكية بحقوق الحياد. وكانت الحرب مستمرة بين بريطانياوفرنسا. وزادت العلاقات توتراً بين البلدين بعد قبض الأسطول البريطانى على البحارة الانجليز الذين يعملون بالسفن الأمريكية وتجنيدهم للعمل بالأسطول. كما استاء أصحاب السفن البريطانية من ازدياد البضائع المنقولة على السفن الأمريكية. أصدرت الحكومة الأمريكية عدة قوانين لحظر نقل البضائع الانجليزية والفرنسية على سفن أمريكية، ولكن أكثر هذه القوانين ظل دون تنفيذ ونشب القتال بين بريطانيا والولايات المتحدة بسبب رغبة رجال الحدود

الأمريكيين في الاستحواذ على الأراضي التي كانت في أيدى البريطانيين والهنود. تغلب دعاة الحرب بأمريكا على المعتدلين، فأعلنت الحرب (١٨ يونية ١٨١٢). وأحرز الأسطول الأمريكى انتصارات ١٨١٢. عادلت الهزائم التى لحقت بالقوات البرية الأمريكية. انقلب الحال ١٨١٣ فأسر عدد كبير من السفن الأمريكية واحتجز عدد آخر بالموانىء حتى انتهاء الحرب ١٨١٥. أحرز الأمريكيون بعض الانتصارات البحرية الباهرة ولكن الأسطول البريطاني تمكن من الاستيلاء على مدينة واشنطن وإحراق الكابيتول والبيت الأبيض ١٨١٤. أنهت معاهدة جنت (٢٤ ديسمبر ١٨١٤) الحرب بين الطرفين وعملت الحرب على نمو الروح القومية بأمريكا وفتحت الأراضى الغربية لهجرة واستيطان الأمريكيين، وبدأت فترة من العزلة السياسية والابتعاد عن الاشتباكات الأوروبية.

٢٩ – حرب الأفيون: (١٨٣٩- ٤٢) نشبت بين الصين وبريطانيا، فقد كان البريطانيون يتوقون إلى أن تلغى الصين القيود التى فرضتها على تجارتها الخارجية، فاتخذوا تعلة للحرب – التى انتصروا فيها بسهولة – حظر الصين ١٨٣٩

استيراد الأفيون. وتدميرها الأفيون المخزون فى كانتون، والذى يملكه البريطانيون. وأكرهت الصين على أن تبرم مع بريطانيا معاهدة نانكين ١٨٤٢، التى فتحت بمقتضاها موانىء كانتون وشنغهاى وأموى وفوتشاو ونتجبو فى وجه التجارة البريطانية، ونزلت عن هونج كونج لبريطانيا.

٣٠- **حرب المكسيك**: (١٨٤٦ - ١٨٤٨)، بين الولايات المتحدة والمكسيك. العامل المباشر لها ضم تكساس (ديسمبر ١٨٤٥)، ومن العوامل الأخرى مطالب المواطنين الأمريكيين القديمة ضد المكسيك، ورغبة الكثيرين منهم فى الاستيلاء على كاليفورنيا. بعث الرئيس بولك - بعد قبول تكساس فى الاتحاد - جون سلايدل ليطالب حكومة الولايات المتحدة بأداء ما يدعيه المواطنون الأمريكيون من مطالب بلاد المكسيك، مقابل تسوية الحدود وشراء كاليفورنيا، ونيو مكسيكو. رفضت المكسيك التفاوض وأيد الاستعماريون الحرب كما أيدها الراغبون فى امتداد المناطق المباح بها الرق. احتل ١٨٤٩ القائد زكارى تايلور، ايزابيل بونيت عند مصب نهر ريوجراند فاعتبر المكسيكيون ذلك عدواناً عليهم. وعبروا النهر وضربوا

قلعــة براون (عندئذ قلعــة تيلور) بالقنابل. أعلنت الولايات المتحـدة الحرب (١٢ مـايو ١٨٤٦). فـاسـتولى كيرنى على سـانتـافيـه وانتقلت كـاليـفـورنيـا من حكم المكسيك إلى حكم أمريكا. ودخلت القوات الأمريكية مدينة المكسيك (١٤ سبتمبر ١٨٤٧) وظلت بها حتى عقد الصلح وصدق مجلس شيـوخ الولايات المتحـدة على مـعـاهـدة جـوادا لوبيـه ايد الجـو (١٠ مارس ١٨٤٨).

٣١- حرب القرم: (١٨٥٣ - ١٨٥٦)، ترجع الأسباب العامة لهذه الحرب، التى قامت بين روسيا من ناحية وانجلترا وفرنسا وسردينيا من ناحية أخرى، إلى المسألة الشرقية التى ظلت دون حل وكانت ذريعتـها المباشـرة النزاع بين روسـيا وفرنسا حـول الإشراف على الأمـاكن المقدسـة بفلسطين، إذ تحدت فـرنسـا ادعـاء روسـيا حق الوصـاية على تلك الأماكن. فحصلت ١٨٥٢ من السلطان عبدالمجيد على بعض الامتيازات للكنائس اللاتينية. ورفضت تركيا ١٨٥٣ المطالب المماثلة التى تقدمت بها روسيا وذلك بتأثير السفير الانجليزى سترتفورد دى رادكليف. وفى يونية ١٨٥٣ ردت روسـيا على ذلك الرفض

باحتلال البغدان والأفلاق، وبعد مفاوضات فاشلة، أعلنت تركيا الحرب. وفى مارس ١٨٥٤ أعلنت انجلترا وفرنسا الحرب بعد إرسالهما الأساطيل للبحر الأسود وتبعتهما سردينيا فى يناير ١٨٥٥. وظلت النمسا على الحياد، ولكنها هددت بدخول الحرب فى جانب تركيا. فاضطرت روسيا للجلاء عن البغدان والأفلاق اللتين احتلتهما الجيوش النمسوية (أغسطس ١٨٥٤). وفى سبتمبر ١٨٥٤ نزلت جيوش الحلفاء فى القرم بقصد الاستيلاء على سباستبول، وقاومت الحصون الروسية التى كان يدافع عنها توتبين ببطولة حتى (سبتمبر ١٨٥٥). وكان قواد الحلفاء هم لورد راجلان عن الانجليز، والجنرال سنت أرنو الذى خلفه الجنرال كانروبير عن الفرنسيين. وامتازت العمليات الحربية من الجانبين بالعتاد الضخم والشهامة وعدم المبالاة بالخسائر وظلت منحصرة فى مكانها. وأشهر حوادثها معارك بالاكلافا وانكرمان ١٨٥٤ واستيلاء الحلفاء ١٨٥٥ على ملاكوف وريدان وهوالاستيلاء الذى سبق سقوط سباستبول.

وكسب الروس فى الجبهة الآسيوية بعض انتصارات واحتلوا قارص. وأدى تولى القيصر اسكندر٢ ١٨٥٥ وسقوط

سباستبول، إلى مفاوضات الصلح التى انتهت (فبراير ١٨٥٥) بمعاهدة باريس وبحرب القرم. انتهى دور السيادة الروسية في ج.ش أوروبا، وكان الفتور في العلاقات بين النمسا وروسيا عاملاً مهماً فى تاريخ أوروبا بعد ذلك. وعجلت الأحوال السيئة التى مر بها الجنود والقتلى والجرحى، بالعمل الذى قامت به فلورنس نيتنجيل فى التمريض ولعله أكبر النتائج الايجابية لهذه الحرب.

٣٢-الحرب الأهلية : (١٨٦١ - ١٨٦٥)، هى فى تاريخ الولايات المتحدة، النزاع الذى نشب بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية التى انفصلت عن الاتحاد وكان اختلاف المصالح بين فريقى الولايات من أهم الأسباب التى أدت إلى الحرب. وقد ازداد هذا الخلاف حدة وتوتراً بمرور الزمن. ففى القرن ١٩، كان الجنوب لا يزال كله زراعياً، يقوم نظامه الاقتصادى والاجتماعى على المزارع والرق. أما الشمال فكانت له موارده الزراعية الغنية، وتفوقه التجارى الدائم، وصناعاته النامية. ونشأ العداء بين القسمين بشكل محسوس بعد ١٨٢٠، العام الذى عقدت فيه اتفاقية ميسورى التى كانت

ترمى إلى إيجاد تسوية دائمة لأسباب العداء وهى: امتداد حق امتلاك الرق أو وقفه، فى الأراضى التى أخذت تلحق بالاتحاد فى الغرب، ومن أسباب العداء أيضاً معركة المبادىء الأخلاقية التى أثارها أنصار إلغاء الرق ثم الصدام بين سلطان الحكومة المركزية وبين مبدأ احتفاظ الولايات بحقوقها. وكان انتخاب ابراهام لنكولن رئيساً للولايات المتحدة، وانفصال الولايات الجنوبية عن الاتحاد (١٨٦٠ - ١٨٦١) عاملاً مساعداً لوقوع الحرب. وبدأت عندما أمر بورجارد جيش التعاهديين (المنشقين على الاتحاد) بإطلاق النار على قلعة «سمطر». وكانت المعارك الأولى (١٨٦١) انتصارات للتعاهديين فهزم جيش الولايات الشمالية فى معركة «بول رن» الأولى ١٨٦٢. وبعد معركة انتيتام التى عقد فيها النصر للشمال، أعلن لنكولن تحرير العبيد.مما حمل على تأييد انجلترا وفرنسا للشمال، وتهدئة ثائرة الحزب الجمهورى الراديكالى المعارض للنكولن فى الكونجرس وكانت انتصارات الاتحاديين فى جبتسبرج وفيلسبورج (يوليو ١٨٦٣) نقطة تحول فى الحرب وتقدم جرانت قائد جيش الشمال

(الاتحاديون) ليواجه «لي» وأرغمه ١٨٦٤ على الاتجاه نحو رتشمند، عاصمة الولايات الجنوبية، وانتصر شيرمان فى واقعة اطلنطا ١٨٦٤. واضطر التعاهديون إلى الجلاء عن رتشمند، وسلم إلى لجرانت فى ابوماتوكس. ولكن مقتل الرئيس لنكولن قلل نصر الاتحاديين. ونتج عن المحاكمات التى أجريت لإعادة النظام عودة الولايات المنشقة إلى الاتحاد. وأنقذ الاتحاد بإلغاء الرق فى جميع أرجاء الولايات المتحدة. وبلغ عدد ضحايا الحرب الأهلية من الأمريكيين نحو ٦٠٠٠٠٠ رجل. ولم تخمد نار الكراهية والتعصب بين الفريقين المتخاصمين، بل أججتها عوامل كثيرة طوال أجيال عدة. ولكن كان من النتائج الطيبة لهذه الحرب وضع الأسس الثابتة لحياة الأمريكيين القومية، وبخاصة إقامة حكومة مركزية قوية.

٣٣- حرب النمسا وبروسيا: (١٥ يونية - ٢٣ أغسطس ١٨٦٦)، بين بروسيا المتحالفة مع ايطاليا وبين النمسا، تؤيدها باڤاريا وفرتمبورج وسكسونيا وهانوڤر وبادن وبعض الولايات الألمانية الصغيرة. أثارها بسمارك لطرد

النمسا من الاتحاد الألماني. وكان الخلاف بين النمسا وبروسيا على إدارة شلزويج – هولشتين ذريعة للحرب. فاخترقت بروسيا الولايات الألمانية سريعاً، وهزمت النمسويين في سادوه. وكانت انتصارات النمسا على ايطاليا في كستوزا وليسا، دون جدوى في ضلح براج (٢٣ أغسطس ١٨٦٦). ونزلت النمسا على البندقية لايطاليا، ولم تطالب بروسيا النمسا بأية أراض ولكنها ضمنت هس – كاسل وهانوفر وفرانكفورت، وتأسس الاتحاد الألماني الشمالي الجديد بزعامة بروسيا ومهدت هذه الحرب لقيام الامبراطورية الألمانية ١٨٧٠. تعرف أيضاً بحرب الأسابيع السبعة.

٣٤- **حرب السنين العشر:** (١٨٦٨ – ١٨٧٨)، نضال الكوبيين للحصول على استقلالهم عن اسبانيا. فقد عم سخط الأهلين بسبب الضرائب الفادحة وقيود التجارة الثقيلة المفروضة عليهم، وحرمان الكوبيين حرماناً يكاد يكون تاماً من وظائف الحكومة. نشبت الفتنة ١٨٦٨، وألف الكوبيون جمهورية، وبدأت حرب دامية مدمرة. لم تأت بنتيجة واضحة إلا أنها كانت مقدمة لحرب الاستقلال الكوبية ١٨٩٥، والحرب

الاسبانية الأمريكية ١٨٩٨. وبرمت اسبانيا بعطفه الولايات المتحدة على كوبا فى حرب السنين العشر برما أظهره الاضطراب الذى ثار حول السفينة ڤرجينيوس.

٣٥- الحرب الفرنسية البروسية أو الحرب الفرنسية الألمانية:

(١٩ يوليو ١٨٧٠ - ٢٨ يناير ١٨٧١) استثار بسمارك- بنشره برقية أمر عمداً- الحكومة الفرنسية إلى اعلان الحرب على بروسيا التى انضمت لها الولايات الألمانية الأخرى. وقاد هـ.ك. ب فون مولتكه حملة بارعة أدت لاندحار الفرنسيين فى سيدان وأسر نابليون ٣ (أول سبتمبر). واستمرت المقاومة الفرنسية فى عهد الحكومة المؤقتة، ولكنها أصبحت عديمة الجدوى بعد تسليم بازين فى متز (٢٧ أكتوبر). ولكن باريس قاومت الحصار البروسى حتى (يناير ١٨٧١) بالرغم من انتشار المجاعة، ورفضت شروط الصلح التمهيدية التى وقعت فى ڤرساى (أنظر: ڤرساى، معاهدة١٨٧١) حتى مايو حين قضت القوات الفرنسية النظامية على كومون باريس. وأهم نتائج هذه الحرب إنشاء الامبراطورية الألمانية وتقلد وليم١

ملك بروسيا تاج الامبراطورية التى أعلنت بفرساى فى ١٨ يناير ١٨٧١ونزول فرنسا عن الالزاس واللورين لألمانيا وقيام الجمهورية الثالثة بفرنسا.

٣٦ - حرب الپاسيفيك : (١٨٧٩-١٨٨٤)

وقعت بين شيلى والدولتين الحليفتين: بيرو وبوليفيا، بدأ النزاع حينما ألغى رئيس بوليفيا ١٨٧٩ العقد الذى كان يعطى شركة شيلية حق استغلال بعض مناجم العترات بإقليم أتاكاما ببوليڤيا، فاندلع فورا لهيب الحرب، ودخلتها بيرو لالتزامها بتحالف دفاعى مع بوليڤيا، وانتصرت شيلى، ووقعت معاهدتان منفصلتان: معاهدة أنكون ١٨٨٣ بين شيلى وبيرو وهدنة ١٨٨٤، ثم معاهدة صلح نهائية ١٩٠٤ بين شيلى وبوليڤيا، وحصلت شيلى من بوليڤيا على مقاطعة أتاكانا «وتدعى الآن انتوفاجاستا» واعترفت لها بيرو بالسيطرة على مقاطعتى تاكنا وأريكا.

٣٧ - الحرب الصينية اليابانية الأولى: (١٨٩٤ - ١٨٩٥)

نشبت بسبب تنافس الصين واليابان فى السيطرة على كوريا، إذ كانت اليابان ١٨٨٥ قد وافقت على سيادة الصين

على كـوريا، ولكنهـا ١٨٩٤ حـملت ملك كـوريا على إلغـاء الاتفـاقـيـة، حـيـنمـا اندلعت فتنة ببـلاده وكلل النصـر السـريع جنود اليـابان فـي هذه الحـرب. وأبرمت بين الصين واليـابان مـعـادة شـيـمـونوسـيكي ١٨٩٥، منحت كـوريا بمقـتـضـاهـا استقلالا اسمياً، وسلخت جزيرة فورموزه وجزر بسكادورس وشبه جزيرة لياوتونج من الصين وأعطيت لليابان.

٣٨ - الحرب الصينية اليابانية الثانية: (١٩٣١- ١٩٤٥)

اندلعت لرغبة اليابان في السيطرة على شرق آسيا، ففي ١٩٣١ عززت اليابان حمايتـها المرابطة في منشوريا، متعللة بحماية ممتلكات الرعايا اليابانيين. وضربت قوة صينية لسبب غير معـروف قطارا مشـحوناً بالجند اليابانيين بقرب مكدن، فـاسـتـحـوذ اليـابانيون على منشوريا كلهـا. وفي ١٩٣٥ كانت اليابان قد انتزعت كثيراً من أنحـاء ش ق الصين، واستولت على بكين وشنغهاي ونـانكين «عاصـمة الصـين الوطنية وقتئذ» وفي ١٩٤٠ كانت قد انتزعت من الصين جميع مدنها الكبرى على الشـاطئ الشـرقي. ولكن الصينيين واصلوا القـتـال رغم

الهزائم المتوالية التى حاقت بهم. وحينما ضربت اليابان بيرل هاربر بالقنابل، وأعلنت الولايات المتحدة عليها، أصبحت الحرب الصينية اليابانية جزءا من الحرب العالمية ٢ . فأعلنت الصين الحرب على دولتى المحور ورغم المساعدة التى قدمها الحلفاء للصين وتشتت القوات اليابانية فى ميادين متعددة، فقد ازداد مركز الصين الحربى حرجاً حتى أبريل ١٩٤٥ حين بدأت الجيوش الصينية تهاجم اليابانيين الذين لم يلبثوا أن سلموا فى «أغسطس ١٩٤٥» لدول الحلفاء، بعد إلقاء أول قنبلة ذرية على هيروشيما.

٣٩ - الحرب الأمريكية الأسبانية : (١٨٩٨)

حرب خاضتها الولايات المتحدة إلى جانب ثوار كوبا ضد اسبانيا، لتحرير كوبا من السيطرة الأسبانية، بدأت الثورة فى كوبا ١٨٩٥، فكبدت مؤسسات الاستثمار الأمريكية خسائر فادحة، وتبينت الولايات المتحدة أهمية كوبا الاستراتيجية، بالنسبة لمشروع حفر قناة فى أمريكا الوسطى بين المحيطين، وأثار الشعور العدائى فى الولايات المتحدة خطاب الوزير الأسبانى المفوض بواشنطن الذى نال فيه من الرئيس مكنلى،

كما أثاره إغراق المدرعة الأمريكية «مين». طالبت الولايات المتحدة اسبانيا بالجلاء عن كوبا، فأعلنت أسبانيا الحرب ٢٤ أبريل. وفي أول مايو هزم الأسطول البحرى بقيادة جورج ديوى الأسطول الأسبانى فى سنتياجو بكوبا وتمكنت الولايات المتحدة من الحصول على تسليم سنتياجو . ووقعت الهدنة ١٢ أغسطس، ومعاهدة باريس « ١٠ ديسمبر ١٨٩٨ ». وكان من شروطها تحرير كوبا تحت وصاية الولايات المتحدة، ونزلت أسبانيا للولايات المتحدة عن بويرتوريكو وجوام، وعن الفليبين فى مقابل ٢٠٠٠٠٠٠٠ دولار. وبذلك انحلت الأمبراطورية الأسبانية، وارتبطت الولايات المتحدة بمشاكل أمريكا اللاتينية بصورة جديدة، كما أصبحت أكثر ارتباطا بمجرى حوادث الشرق الأقصى.

٤٠ - حرب جنوب أفريقيا أو حرب البوير: (١٨٩٩-١٩٠٢)

هى الحرب التى نشبت بين جمهورية جنوب أفريقيا «الترنسفال» وولاية أورانج الحرة من جانب، وبريطانيا من جانب آخر. فقد ضاق صدر البوير أمدا طويلاً من زحف

البريطانيين غير المتوقف فى داخلية جنوب أفريقيا، وزاد العداء ضراما عقب كشف مناجم الذهب الغنية بالترنسفال ١٨٦٦، وحضور عدد كبير من المهاجرين المغامرين البريطانيين، فأبت حكومة البوير منحهم حقوق المواطنة، وفرضت عليهم ضرائب فادحة، رغم احتجاجات الحكومة البريطانية. وزاد الموقف حرجاً بحدوث غارة چيمسن ١٨٩٥ التى فسرها الزعيم البويرى كروجر بأنها مؤامرة بريطانية للاستيلاء على الترنسفال، والتى أدت إلى إبرام محالفة عسكرية بين الترنسفال وجمهورية أورانج الحرة ١٨٩٦ للدفاع عن استقلالهما. وأجابت الحكومة البريطانية مطلب سير ألفرد ملنر الحاكم العام لمستعمرة جنوب أفريقيا وقتئذ، فأنفذت قوات إليها لإظهار عزمها على الدفاع عما كانت تعده حقوق رعاياها التجارية. فطلبت حكومتا الترنسفال وأورانج الحرة سحب هذه القوات، وحينما رفض طلبهما، أعلنتا الحرب «١٢ أكتوبر ١٨٩٩». وأحرزت قوات البوير انتصارات باهرة، وانتزعت مافيكنج، وحاصرت كمبرلى وليديسمث، ولكن انحسر تيار مكاسبها «١٩٠٠» بإنزال إمدادات

بريطانية كبيرة العدد حسنة التجهيز، واحتل الجند البريطانيون بقيادة اللوردين روبرتس وكتشنر جميع المدن الكبرى، وضمت بريطانيا رسمياً دولتى البوير. وكان يعتقد أن الحرب سوف تضع أوزارها بعد قليل، ولكن شرع البوير فى شن حرب عصابات باسلة تحت قيادة بوثا وسمطس، فرد كتشنر على هذا الضرب من القتال باعتقال النساء والأطفال البوير فى معسكرات «حيث فتكت الأمراض بعدد كبير منهم»، وحصار مساحات كبيرة، وتفتيش البيوت بحثا عن المحاربين البوير، واضطر البوير أخيراً إلى إلقاء السلاح وأبرمت معاهدة فرينجنج «٣١ مايو ١٩٠٢». ورغم التسامح الذى أظهرته الحكومة البريطانية فى إملاء شروط الصلح، فإن مرارات الحرب لاتزال تؤثر فى الحياة السياسية بجنوب أفريقيا.

٤١ - الحرب الروسية اليابانية: (١٩٠٤ - ١٩٠٥)

صراع استعمارى شجر نتيجة المنافسة بين روسيا واليابان فى استعمار منشوريا وكوريا، فقد تغلغلت روسيا

فى هذه المناطق، ورفضت التفاوض مع اليابان بشأن تقسيمها بينهما إلى مناطق نفوذ. وهاجمت اليابان، دون أن تعلن الحرب، بورت آرثر، وحاصرت الأسطول الروسى فى الميناء، وانتزع اليابانيون بورت آرثر، وهزموا الروس فى مكدن ١٩٠٥، وحطموا أسطولا روسيا كبيرا فى معركة تسوشيما. وعقد الصلح بتوسط ثيودور روزفلت، رئيس الولايات المتحدة «انظر: بورتسموث، معاهدة». ساعدت الحرب على اندلاع الثورة الروسية ١٩٠٥ وجعل اليابان دولة عظمى.

٤٢ - حروب البلقان: (١٩١٢ -١٩١٣)

حربان قصيرتان لامتلاك الأراضى الأوروبية التابعة للامبراطورية العثمانية. هيأ غزو ايطاليا لولايات طرابلس الغرب ١٩١١، فرصة النهضة لدول البلقان لزيادة أراضيها على حساب الأتراك. فعقدت صربيا وبلغاريا معاهدة تحالف ١٩١٢، ونص فى ملحق سرى بها على الاشتراك فى الأعمال الحربية وتقسيم الفتوح. وأعقب نشوب الحرب التى انضمت فيها اليونان والجبل الأسود إلى الحليفتين الأصيلتين ان طرد الأتراك سريعا من الأراضى التركية بأوروبا فيما عدا منطقة

القسطنطينية، وبعد انتهاء القتال أعلنت الصرب عزمها على ضم جزء كبير من ألبانيا لإيجاد منفذ لها على البحر الأدرياتى، ولكن وقفت فى سبيل هذه الخطوة، نحو إنشاء الصرب الكبرى، النمسا والمجر وإيطاليا وألبانيا التى أعلنت إستقلالها، وعقد مؤتمر من سفراء الدول العظمى فى لندن ١٩١٣ وقرر إنشاء دولة ألبانية مستقلة كبيرة المساحة نوعا وبذلك منعت الصرب من الوصول للبحر. ولم ترض الصرب عن هذه الشروط، فطالبت بلغاريا بنصيب أكبر من مقدونيا فأدى ذلك إلى هجوم بلغاريا على صربيا وهجوم رومانيا واليونان وتركيا على بلغاريا. ونتج عن هذه الحرب البلقانية الثانية أن خسرت بلغاريا بمعاهدة بوخارست ١٩١٣، أراضى لجميع أعدائها. وقد هيأت الحروب البلقانية الجو للحرب العالمية (١) وذلك أنها شجعت الصرب على الرغبة فى ضم الأراضى الصربية التابعة للنمسا والمجر، كما أن الحروب البلقانية حفزت النمسا على تقوية تصميمها على سحق الصرب وهذا الموقف النمسوى من الصرب حمل روسيا على اتخاذ موقف مضاد له وخلقت أسبابا لسخط بلغاريا وتركيا.

وتجتمع هذه العوامل المختلفة فى تدهور الموقف الدولى بعد اغتيال الارشيدوق فرديناند فى سراييڤو على يد عصابة حربية.

٤٣ - حرب عالمية أولى: (١٩١٤-١٩١٨)

كان السبب المباشر لنشوبها اغتيال الأرشيدوق فرانسيز فرديناند ولى عهد النمسا فى سراييڤو «٢٨ يونيو ١٩١٤»، بيد برنشبو الصربى. بدأت الأعمال العدوانية ببطء، وفى نهاية صيف ١٩١٤، اشتبك الحلفاء «انجلترا وفرنسا وروسيا وبلچيكا وصربيا والجبل الأسود واليابان» فى نضال عنيف ضد قوات الحلف الثلاثى «ألمانيا والنمسا والمجر والامبراطورية العثمانية» . احتال الألمان بلچيكا فى الجبهة الغربية، وتقدموا نحو باريس. وتلت معركتى المارن الأولى وايبر الأولى حالة ركود نسبى، فتحول الجانبان إلى حرب الخنادق ثلاثة أعوام. فى الجبهة الشرقية هزمت الجيوش الألمانية، بقيادة هندنبورج ولودندورف وڤون ماكنزن «أغسطس - سبتمبر ١٤»، الروس فى معركتى تاننبرج وبحيرات مازور. فشل هجوم روسيا المضاد ١٩١٦ ونتج عن

قيام الثورة الروسية خروج روسيا من الجبهة. انضمت بلغاريا لألمانيا «أكتوبر ١٩١٥» وسقطت صربيا والجبل الأسود ١٩١٥ . فشلت حملة الحلفاء في جاليبولى ١٩١٥ . انضمت ايطاليا «مايو ١٩١٥» إلى الحلفاء. ولم تقم بدور يذكر فى القتال حتى أصيبت بنكبة كاپوريتو ١٩١٧، ثم انتصرت فى ڤيتوريوڤنيتو ١٩١٨ . لم يحدث فى الجبهة الغربية ١٩١٦، بالرغم عن خسائر معارك ڤردون وسوم.

تحالفت البرتغال ورومانيا مع الحلفاء ١٩١٦، واشتركت اليونان معهم فى حملة سالونيكا ضد ألمانيا وصديقاتها ١٩١٧، هدد الألمان حياد الولايات المتحدة ١٩١٥، بإغراق السفنية لوزيتانيا . أغلق الحلفاء منافذ الأسطول الألمانى منذ معركة جتلاند، فهددت ألمانيا بحرب الغواصات ١٩١٦ . قطعت الولايات المتحدة العلاقات وأعلنت الحرب على ألمانيا «٦ أبريل ١٩١٧»، وصلت حملة أمريكية بقيادة چنرال بيرشنج إلى فرنسا، ولم تشترك فى القتال إلا فى معركة شاتوتيرى «يونيو ١٩١٨» . اشتعلت الثورة العربية ضد تركيا فسقطت بغداد وبيت المقدس ١٩١٧ . تألفت قيادة

موحدة للحلفاء بقيادة فوش «أبريل ١٩١٨». وقعت ألمانيا وحليفتاها «مارس ١٨» صلحا منفرداً مع روسيا فى برست - ليتوفسك. كاد الألمان يصلون إلى باريس بعد معركة المارن الثانية، ولكن الحلفاء صدوهم بهجومهم المضاد. أعلنت تركيا والنمسا والمجر وبلغاريا التسليم وبعد أن شبت ثورة فى ألمانيا وقعت الهدنة «١١نوفمبر ١٩١٨» فى كومبيين، ونتيجة لتوقيع معاهدات فرساى وسنت جرمين وتريانو نيولى وسيفر، تغيرت حدود بلدان أوروبا وآسيا كثيرا. وتطور فن القتال، قدر عدد قتلى الجانبين بحوالى ١٠ ملايين والجرحى بحوالى عشرين مليونا. وأنشئت عصبة الأمم وهدفها منع الحرب.

٤٤ - حرب عالمية ثانية: (١٩٣٩-١٩٤٥)

كانت السياسة العدوانية التى اتبعتها قوات المحور «ألمانيا - إيطاليا- اليابان». أهم الأحداث السياسية التى أدت إلى اشتعالها. وبلغت الذروة باستيلاء الألمان على بوهيميا ومورافيا «مارس ١٩٣٩»، وبعد اتباع الدولتين الغربيتين «فرنسا - وبريطانيا» سياسة التهدئة، ووقعتا ميثاق ميونخ «١٩٣٨»، جدتا فى إعادة التسلح وضمنتا سلامة الدول التى

تخشى الاعتداء عليها وبخاصة بولندا، طالب هتلر باستعادة دانزج والمر البولندى، وعقد ميثاق عدم الاعتداء مع الاتحاد السوفييتى «أغسطس ١٩٣٩»، وأصبح حراً فى قطع مفاوضاته مع الغرب ثم هاجم بولندا «١ سبتمبر ١٩٣٩».

أعلنت انجلترا «وغالبية دول الكومنولث» وفرنسا الحرب على ألمانيا، وسرعان ما انتصرت هذه علىٰ بولندا باتباعها تكتيكات الصاعقة «بليتزكريج». قضت القوات البريطانية الشتاء بلا عمل فى الجبهة الغربية ومتحصنة وراء خط ماجينو، ثم تابعت ألمانيا الغزو «أبريل ١٩٤٠»، فاحتلت دنمارك ونرويج وهولندا «مايو» . وانقضت على ش فرنسا واكتسحت قواتها ثغور القنال الإنجليزى «بحر المانش»، وقضت على الحلفاء الذين أسرعوا بالانسحاب من دنكرك. دخلت ايطاليا «١٠ يونيو» الحرب، سلمت فرنسا فى «٢٢ يونيو»، ووقفت انجلترا وحدها بزعامة تشرشل فى «معركة بريطانيا» تقاوم القاذفات الألمانية. استمر القتال فى ش أفريقيا بين الايطاليين والبريطانيين، وفى البلقان بين الايطاليين واليونانيين «أكتوبر ٤٠». غزت ألمانيا هنغاريا

وبلغاريا ويوجوسلافيا «أبريل ٤١» وكسب المحور الشوط الأول. غزا هتلر روسيا «٢٢ يونيه ١٩٤١» . دنت الولايات المتحدة من الحرب ، أعلن الكونجرس نظام الإعارة والتأجير، احتلت الولايات المتحدة ايسلندا وجرينلاندا، أدى اعتداء اليابانيين على الهند الصينية وتايلند إلى توتر الموقف. هاجمت اليابان بيرل هاربر والفليبين والملايو «٧ ديسمبر ٤١». أعلنت الولايات المتحدة وغالبية حلفائها - عدا روسيا - الحرب على اليابان . وأعلنت ألمانيا وحلفاؤها - عدا فنلندا - الحرب على الولايات المتحدة. احتلت اليابان الفليبين وعدة جزر في المحيط الهادى ج.ق آسيا. وصلت قوات المحور إلى ستالنجراد والقوقاز. كاد الجنرال روميل يحتل القاهرة. هددت الغواصات الألمانية ملاحة الحلفاء الذين قاموا بهجوم في جبهات عديدة وانتصروا في بعضها، وفي ش أفريقيا، تبع انتصار مونتجمرى على المحور في العلمين «أكتوبر ٤٢» نزول قوات الولايات المتحدة في الجزائر وانتهى القتال بانتصار الحلفاء في جبهة أفريقيا.

غزا الحلفاء جزيرة صقلية جنوب ايطاليا. فسلمت الأخيرة «سبتمبر ٤٣». انتصرت أمريكا في معارك بحرية ضد اليابان

فى بحر المرجان وميدواى. ونزل جنودها فى جوادالكانال ١٩٤٢، وكسبت قواتها بقيادة ماك آرثر سلسلة من المعارك فى جزر المحيط الهادى واستردت الفليبين ١٩٤٥ وانتقلت المعارك إلى اليابان فى أيوجيما وأوكيناوا. انتصرت روسيا فى ستالنجراد ١٩٤٣ وقامت بهجوم مضاد على طول الجبهة لطرد الألمان فوصلت جيوشها ١٩٤٤ إلى بولندا وهنغاريا وطردت قوات المحور من البلقان. انتهت «معركة الأطلنطى» بطرد غواصات الألمان. التقى الحلفاء بمقاومة ألمانية عنيفة فى إيطاليا، ونشبت ببطء حرب العصابات. نزلت قوات الحلفاء بقيادة أيزنهاور فى نورماندى «٦يونيو ٤٤» غ فرنسا كما نزلت قوات أخرى فى جنوبيها. تحررت فرنسا «أواخر ٤٤» وبلجيكا من قوات الألمان. واتجه القتال إلى هولندا وقلب ألمانيا التى أبيدت مراكزها الصناعية والعسكرية. دكت مقاومة ألمانيا «أبريل ٤٥» وفى «٧مايو» سلمت دون شروط، وفى أغسطس أسقطت الولايات المتحدة أول قنبلة ذرية على هيروشيما ونجازاكى. وأعلن الاتحاد السوفييتى الحرب على اليابان وغزت قواته منشوريا، فأعلنت اليابان التسليم «١٤

أغسطس» ووقعت شروط التسليم «٢ سبتمبر ١٩٤٥» وانتهت الحرب. كانت الخسائر البشرية والمادية جسيمة. بلغت خسائر القوات المسلحة بالولايات المتحدة ٢٩٢,٠٠٠، بريطانيا والكومنولث ٥٤٤٥٩٦، الاتحاد السوفييتي ٧٥٠٠٠٠٠، فرنسا ٢١٠٠٠٠، ألمانيا ٨٥٠٠٠٠، ايطاليا ٣٠٠٠٠٠، الصين ٢٢٠٠٠٠٠، اليابان ١٥٠٦٠٠٠، ومجموعها ١٥٠٠٠٠٠٠ يضاف إليها خسائر بولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ودول البلطيق وهولندا وبلچيكا ونرويج إلى جانب ضحايا المعتقلات والسجون الألمانية والغارات الجوية من المدنيين وضحايا القنبلة الذرية «ربع مليون تقريباً». وقعت معاهدات الصلح ١٩٤٧ بين إيطاليا ورومانيا وبلغاريا وهنغاريا وفنلندا. وترتب على التنافر بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة تأخير توقيع الصلح مع ألمانيا والنمسا واليابان. وأهم نتائج الحرب إنشاء هيئة الأمم المتحدة فى أكتوبر ١٩٤٧ .

من أشهر معارك الحرب العالمية الأولى:
حملة سالونيكا (١٩١٥)

التزمت اليونان الحياد عند نشوب الحرب العالمية ١ ولما سقطت حكومة ڤنزيلوس الموالية للحلفاء ١٩١٥ لعزمها على

الاشتراك فى صف الحلفاء نزلت قوات الحلفاء «ديسمبر ١٩١٥» بقيادة موريس سراى القائد الفرنسى فى سالونيكا وحاصرت اليونان «سلميا» لتخفيف الضغط على صربيا والاحتفاظ بموطئ قدم من البلقان، ولاجتذاب اليونان إلى صفهم. ونتيجة لتمسك ملك اليونان بخطة الحياد شجع الحلفاء قيام حكومة يونانية موالية برياسة ڤنزيلوس فى سالونيكا وأعلنت اليونان الحرب على دول وسط أوروبا، وفى يونيو ١٩١٧ بعد ما بدأ الحلفاء يغزون وسط اليونان، تخلى قسطنطين عن الملك، وانضمت اليونان رسمياً للحلفاء.

استقرت الجبهة المقدونية بعد عدة هجمات للحلفاء ضد قوات بلغاريا وتركيا وألمانيا المواجهة لهم. سقطت بيتوليى «نوفمبر ١٦» ولم تنته معركة فردار بنتيجة حاسمة «مايو ١٩١٧». لم يكن هناك تناسق فى خطط قادة الحلفاء، ولم تتحسن الحال فى اليونان وتفشت الملاريا بين القوات. جلبت إمدادات ضخمة إلى سالونيكا «١٩١٨» وتسلم الجنرال فرانشيه ديسبيرى القيادة، وفى سبتمبر تقدم الحلفاء نحو الشمال على طول الجبهة فى عدة هجمات متلاحقة.

سلمت بلغاريا «٣٠ سبتمبر» وزال الضغط عن صربيا. سقطت رومانيا فى أيدى الحلفاء «١٠ نوفمبر» وانتهت حملة سالونيكا بتوقيع شروط الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨.

من أشهر معارك الحرب العالمية الثانية:

حملة نورمنديا

(يونيو - أغسطس ١٩٤٤)

فى الحرب العالمية ٢ بدأ غزو الحلفاء فى صباح ٦ يونيو. كان القائد الأعلى للحملة الجنرال أيزنهاور، وكان يساعده الجنرال مونتجومرى، قائد الجيش الثامن البريطانى. واستخدم فى نقل الجنود إلى ساحل نورمنديا نحو ٤٠٠٠ ناقلة للجنود، و٨٠٠ سفينة حربية، عدا القوارب الصغيرة، كونت كلها جسرا عبر القنال الإنجليزى، وكونت ١١٠٠٠ طيارة مظلة وقائية. لقى الجنود الأمريكيون مقاومة عنيفة عند نزولهم. ونزل الجنود البريطانيون من ثلاث جهات. وتمكن الجنود الأمريكيون من الانضمام إلى البريطانيين فى ١٢ يونيو. وكان القائد الأعلى للجيوش الألمانية المارشال روندشتد. سقطت شيربورج فى أيدى الحلفاء فى ٢٧ يونيو.

وسـار الجند الأمـريكيـون جنوباً، وتمكنوا من قطع مـركـز خطوط المواصـلات الألمانيـة «١٨ يوليـو» فى سـان لو، وبذلك قطعوا خط التراجع على القـوة الألمانيـة بقيـادة ارون رومل. واخترق الجيش الثالث الأمريكى مسيرة الجيش الألمانى فى أفرانش. وأخفقت محاولة ألمانيا لشطر القوات الأمريكية إلى قسمين فى أفرانش «٧ - ١١ أغسطس». وكان الجيش الأول الكندى قد استحوذ مع البـريطانيين على كاين «١٩ يوليو». وتمكن جنود الحلفـاء من حـصـر الجـانب الأكبـر من الجـيش السـابع الألمانى. وابادته فى «٢٣ أغسطس». وانتهت المرحلة الأخيـرة من حـملة نورمنديا باسـتيـلاء الجـيوش البـريطانيـة والكندية «١-٣٠ سبتمبر» على الموانىء الفرنسية الواقعة على القتال، بين دييب وأوستند. انظر: الحرب العالمية ٢ .

الفصل الثالث:

وحروب القرن العشرين..

قد يقول قائل إن من الحروب التى ذكرتها فى الفصل السابق أكثر من حرب يمكن اعتبارها من حروب القرن العشرين ومنها مثلا: الحرب الصينية اليابانية الثانية «١٩٣١- ١٩٤٥»، حرب البوير التى استمرت ثلاث سنوات «١٨٩٩- ١٩٠٢»، الحروب الروسية اليابانية «١٩٠٤-١٩٠٥»، حروب البلقان «١٩١٢ - ١٩١٣»، الحربين العالميتين الأولى «١٩١٤- ١٩١٨» والثانية «١٩٣٩-١٩٤٥»م وغيرها من الحروب الكثيرة والتى قد تكون لم يُكتب عنها لأسباب مختلفة .. فهل تكون ستعيد الكتابة عن هذه الحروب التى ذكرناها وكتبت عنها من قبل؟! أو ستكتب عن حروب أخرى لم يُكتب عنها؟!.

نعم سأكتب عن حروب أخرى لم أذكرها ولم أكتب عنها شيئا فى الصفحات السابقة، ولكنها ليست أية حروب والسلام، بل هى حروب تعرضت لها بلادنا العربية «فلسطين،

مصر، الكويت، العراق» .. وهى حروب كثيرة ومتوالية، ولكن لأن أسبابها كلها واحدة تقريباً، وأهدافها مكررة دائما، ونتائجها متشابهة غالباً .. فليسمح لى القارئ الحبيب واللبيب أن أختار أكبرها وأشهرها وأخطرها لأكتب عنها كمثال يدل عليها جميعها..

وهذه الحروب التى اخترتها هى:

١- حرب فلسطين «١٩٤٨»..

٢- حرب السويس «العدوان الثلاثى» ١٩٥٦م

٣ - نكسة يونيو (حرب الأيام الستة) ١٩٦٧م

٤- حرب وانتصار أكتوبر المجيد «١٩٧٣»م

٥- غزو الكويت وحرب الخليج الأولى «١٩٩٠» م

٦- حرب وغزو العراق «٢٠٠٣» م

٧- حرب الإرهاب .. الحرب القذرة ..

١ - حرب فلسطين ١٩٤٨ ...

عندما كان «آرثر چيمس بلفور» وزيراً للخارجية البريطانية فى الفترة «١٩١٦-١٩٢٢»، وفى عام ١٩١٧ م بالتحديد - أى بعد عام واحد من توليه منصبه الخطير والمؤثر - أصدر

تصــريحــه الذى عــرف باســمــه «وعـد بلفــور» بتــاريخ «١٩١٧/١١/٢» م والذي تعهد فيه باسم الحكومة البريطانية – حكومته وقتها – بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى .. وفعلاً لم تكد الحرب العالمية الأولى تنتهى «١٩١٤– ١٩١٨» حتى فتحت بريطانيا أبواب الهجرة إلى فلسطين أمام اليهود المشتتين في كل دول العالم، وقدمت كل ما تستطيع تقديمه من المساعدات الكثيرة والمختلفة .. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يأتى فيها اليهود إلى فلسطين، بل كانت هجرتهم الحقيقية فى العصر الحديث قد بدأت فى سنة ١٨٧٠م، واستمرت على شكل هجرات صغيرة ومحدودة، ولكن هذه الهجرات زادت وتضاعفت جداً فى أوائل القرن العشرين، وعلى وجه التحديد بعد (وعد بلفور) الذى أصدره سنه ١٩١٧م.

وما دمنا نتحدث عن وعد بلفور وهجرة اليهود المتزايدة إلى فلسطين تحت حماية الانتداب أو قل الاحتلال البريطانى لفلسطين، فلا يجب أن نغفل أو ننسى أو نتجاهل ذلك الدور الأساسى والمهم جداً الذى قامت به (الحركة الصهيونية) التى أسسها (تيودور هرتزل) وتزعمها وأعلن وعمل من خلالها

على إعادة قيام الدولة اليهودية القديمة فى فلسطين، والتى كانت قضت عليها الدولة الرومانية، ودمرتها وشردت أهلها جميعا سنة (٤٥).م وقد أنشأ (هرتزل) العديد من الفروع لحركته فى الكثير من الدول الأوربية وكذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية التى كانت الممول الأول لهم.

ولقد لعبت هذه المنظمات الصهيونية الدور الأكبر والأول فى تشجيع زيادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وكانت هذه الاضطهادات التى تعرض لها اليهود فى أوربا، وعلى وجه التحديد الاضطهاد الكبير والشنيع الذى تعرضوا له على يد النازية فى عهد (أدولف هتلر) الزعيم الألمانى المعروف الذى نكل بهم وأحرق الآلاف منهم فى المحارق الشهيرة، والتى استخدمها اليهود أفضل استخدام بالدعوة لحمايتهم وإنشاء دولة لهم تجمعهم حتى لا يتعرضوا ثانية لهذه المجازر والمحارق التى عانوا منها فى عهد (هتلر) سنة ١٩٣٤... وعندما زادت أعداد اليهود فى فلسطين حتى أصبح مجموعهم خطراً على سكان البلاد الأصليين من العرب، أوقف الانجليز استمرار الهجرات اليهودية إلى فلسطين سنة ١٩٤٥.م لكن وبالرغم من المنع الرسمى لهذه الهجرات، فإنها استمرت

بشكل سرى وغير رسمى. وكوَّن اليهود المهاجرون عصابات مسلحة، وبدأت المشاكل تتزايد وتتراكم حتى كونت ما سمى بـ (المشكلة الفلسطينية)، ولما تفاقمت المشكلة وأصبحت خطراً يهدد المنطقة كلها، عرضت على هيئة الأمم التى قررت تقسيم فلسطين العربية بين كل من العرب واليهود، ولم يقبل العرب بقرار التقسيم ورفضوه لأنهم رأوا فيه ظلماً كبيراً لهم، وتجمعت الجيوش العربية كلها، وذهبت لتحرير فلسطين من اليهود، واندلعت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م.

ولكن الانقسامات التى حدثت بين العرب وتفرق كلمتهم، وحدوث بعض الخيانات وأشهرها قضية (الأسلحة الفاسدة) التى عانى منها الجيش المصرى وغيرها من الأسباب جعلت العرب ينهزمون والصهاينة ينتصرون. وبعد أن كان اليهود المهاجرون لفلسطين العربية مجرد مجموعة من العصابات، فإنهم بعد الحرب أعلنوا رسمياً وعالميا عن قيام الدولة اليهودية باسم (إسرائيل) سنة ١٩٤٨م، وسارعت الدول الكبرى وفى مقدمتها روسيا وأمريكا للاعتراف بهذه الدولة العنصرية الوليدة..

وإذا نحن كتبنا عن الصراع العربى الإسرائيلى بالتفصيل فسنحتاج إلى عشرات الكتب والمجلدات، لكننا هنا نعرض باختصار شديد لهذه الحروب، حيث إن القارئ اللبيب يستطيع إذا أراد أن يعرف المزيد من التفاصيل وأن يرجع للعديد من الصحف أو الكتب التى كتبت عنها وذكرت كل تفاصيلها...

★★★

٢- حرب السويس (١٩٥٦)..

فى خطابه السياسى السنوى بمناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية لقيام ونجاح ثورة يوليو المصرية العظيمة، وبالتحديد فى (٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦) أعلن الرئيس المصرى خالد الذكر (جمال عبدالناصر) قراره التاريخى والمفاجيء بتأميم شركة قناة السويس لتصبح شركة مصرية مملوكة لمصر والمصريين. وقد أصاب هذا القرار التاريخى الشجاع الدول الاستعمارية وفى مقدمتها بريطانيا التى كانت تعتبر نفسها مالكة وصاحبة (قناة السويس) خصوصاً بعد أن اشترت حصة مصر من أسهم القناة من الخديوى إسماعيل سنة ١٨٧٥م، فأصبحت مالكة لأكثر من (٧٥٪) من أسهم شركة

قناة السويس، فكان التأميم بالنسبة لبريطانيا خسارة مالية فادحة وانتكاسة سياسية كبيرة وإصابة لسمعتها ومكانتها الدولية لم يسبق لها على طول تاريخها أن تعرضت لمثلها... ولذلك بدأت تحيك مؤامراتها وتدير خططها لكي توقف قرار التأميم وتحتفظ بكل مكاسبها وتبقى في مصر قوة مخيفة ومؤثرة كما كانت دائماً، ومنذ احتلالها للأراضي المصرية سنة ١٨٨٢م.

وفي سبيل استعادة كرامتها المفقودة ومكاسبها الضائعة من جرّاء هذا التأميم المصرى والمفاجيء لقناة السويس، فقد اتفقت انجلترا مع كل من فرنسا وإسرائيل على الاشتراك معاً فى شن حرب قوية على مصر حتى يقضوا على ثورة يوليو المصرية، ويتخلصوا من الزعيم (جمال عبدالناصر) الذى سبب لهم صداعا مستمرا بسبب مساندته ومساعدته لكل الحركات التحررية فى العالم كله وعلى الأخص فى العالم العربي، وهكذا اتفق الأشرار الثلاثة على محاربة مصر: انجلترا بسبب تأميم القناة وضياع مكاسبها منها، وفرنسا بسبب المساعدات الكثيرة والمستمرة التى كان (عبدالناصر) يقدمها لشعب الجزائر البطل فى حربه الصعبة والشرسة

للتحرر والتخلص من الاحتلال الفرنسى للجزائر العربية، وإسرائيل بسبب تصميم (عبدالناصر) على أن فلسطين أرض عربية ويجب تحريرها وطرد اليهود الصهاينة منها..

وهكذا اجتمعت القوى الاستعمارية العالمية، وأرسلت جيوشها للاعتداء على مصر، وبدأ عدوانها الثلاثى الآثم فى (أكتوبر ١٩٥٦)م ويعوزنا الوقت ونحتاج إلى مجلدات ومجلدات لنروى كيف قاوم الشعب المصرى العظيم والمسالم هذا العدوان الغادر والغاشم، ولنحكى البطولات والتضحيات التى قام بها وقدمها المصريون جميعاً فى جميع المدن والقرى المصرية وعلى امتداد وادى النيل الذى كان نائماً فى أمان وسلام من الإسكندرية والسلوم وحتى أسوان والنوبة... ولم يكن المصريون الأبطال والأحرار وحدهم الذين قاوموا وحاربوا العدوان الاستعمارى الشرير، بل وقفت إلى جانبهم وساعدتهم كل الدول العربية والعالمية، بل وكل القوى الشريفة والحركات التحررية فى العالم كله...

وبسبب المقاومة الشجاعة والباسلة لكل المصريين، وعلى الأخص فى مدن منطقة القناة (بورسعيد، الإسماعيلية، السويس)، وأيضاً بسبب تلاحم وتوحد وتعاون الشعب مع

الجيش، وأيضاً بسبب وقوف كل القوى الشريفة والحرة إلى جانب مصر ومساعدتها لها، ونحب ويجب أن نذكر هنا الإنذارات الروسية والأمريكية التى وجهتها كل من روسيا والولايات المتحدة الأمريكية إلى الدول الثلاث المعتدية بضرورة وقف عدوانها وسحب جيوشها على الفور ودون تأخير، وإلا ستضطر للتدخل بجيوشها ضد المعتدين.. أخيراً، وبعد أقل من ثلاثة شهور تقريبا (ديسمبر ١٩٥٦)، انتهت هذه الحرب الغادرة بانتصار الشعب المصرى البطل والأصيل على المعتدين الثلاث الآثمين.. وبقيت مصر حرة مستقلة، وبقيت قناة السويس المصرية للمصريين الذين حفروها سنة ١٨٦٩م. فى عهد الخديوى إسماعيل وبرأى ومشورة وإشراف المهندس الفرنسى المعروف (فرديناند ديلسبس)..

★ ★ ★

٣ - نكسة يونيه ١٩٦٧

فى نفس الوقت الذى كان فيه العرب جميعاً يحاربون بالكلام، وينتصرون فى الأحلام والأوهام، ويهددون العالم كله بأن لا بقاء لدولة إسرائيل ولا أمان ولا سلام لكل من يساعدها ويساندها ويقف إلى جوارها. كانت إسرائيل – فى

نفس الوقت – تصنع كل ما هو عكس ذلك تماما: كانت تعلن للعالم كله عن رفضها للحرب وحبها للسلام، وكانت تعلن أنها ضعيفة ولا تملك العدد الكافى من الجنود اللازمين لخوض هذه الحرب التي تريدها وتسعى لها وتهدد بها الدول العربية كلها والمحيطة بدولة إسرائيل الضعيفة والمسكينة والمسالمة من كل ناحية، وأن الجيش الإسرائيلى أو كما تسميه هى (جيش الدفاع الإسرائيلى) – انتبه ولاحظ وتأمل كلمة (الدفاع) = هذا الجيش الذى يدافع فقط عن إسرائيل وعن سكانها المسالمين ولا يهاجم أو يبدأ بالهجوم أو حتى يهدد به أبداً – هذا الجيش – لا يملك أية أسلحة هجومية أو حتى أسلحة دفاعية كافية وقادرة على الدفاع عن دولة إسرائيل الصغيرة وشعبها المسالم؟! ولذلك فإنها من كل الدول والشعوب المحبة للسلام أن ترسل لها متطوعين ومحاربين، وأن تمدها بكل الأسلحة المتطورة القادرة على مواجهة كل هذه الجيوش والقوات العربية، والكافية لحماية الشعب الإسرائيلى الآمن والمسالم؟! وفى الوقت الذى لعبت فيه الدول العربية اللعبة بـ (الغلط) الذى لابد أن تكون نتيجته الهزيمة المؤكدة، فإن إسرائيل لعبت بـ (الصح) الذى كانت نتيجته انتصارها

الحاسم والسريع.. فعندما رأى العالم كله (القط العربى المتوحش) يكاد أن يلتهم (الفأر الإسرائيلى الصغير والمسكين)، اندفع الجميع وحتى بلا وعى أو تفكير للوقوف إلى جانب (الفأر الإسرائيلى) وضد (القط العربى) سياسيا وعسكريا بكل الطرق والوسائل المتاحة والممكنة، المشروعة وغير المشروعة، الظاهرة والخفية..

وبينما العالم كله مشغول بالبحث والعمل على مساعدة وحماية هذه الدولة الصغيرة المسالمة من تهديدات جيرانها العرب العدوانيين والمحيطين بها من كل جانب، بل قل وبينما العالم كله نائم، وفى فجر الخامس من شهر يونيو/ حزيران ١٩٦٧ قامت الطائرات الحربية الإسرائيلية بهجوم مفاجىء وكامل وساحق على كل المطارات المدنية والعسكرية فى مصر وسوريا والأردن ودمرتها ودمرت الطائرات التى كانت رابضة على ممراتها - دمرت المطارات والطائرات جميعا - فى نفس اللحظة! وبعدها بدأت الحرب المضحكة بين جيوش عربية مصرية وعربية برية مكشوفة على وجه الصحراء، وبين طائرات وقوات جوية من أحدث طراز ومسلحة بأفضل الأسلحة الهجومية الموجودة فى العالم.. ولم يكن من الممكن

أبدا أن تنتهى هذه المعركة غير المتكافئة وغير العادلة إلا إلى هذه النتيجة التى انتهت إليها بعد ست ساعات قالوا عنها إنها ستة أيام، ولكن الحقيقة المؤلمة والتى يجب أن نعترف بها اليوم هى أن هذه المعركة الغادرة وغير المتكافئة على الإطلاق لم تستغرق أكثر من ست دقائق وهى المدة الكافية لتدمير الطائرات والمطارات الرابضة بها بأحدث القنابل وأقوى الصواريخ، وبعدها لم تحدث أى حرب ولا أى قتال؟!

– إنها قد تكون أول وآخر حرب فى العالم؛ بدأت وانتهت دون أن يحدث فيها قتال حقيقى بين الجيوش المتحاربة فيها.. وكل ما حدث هو قوات تهرب وتنسحب من ميادين القتال بغير تنظيم وعلى غير هدي، وقوات أخرى تطاردها وتأسرها وتقضى عليها دونما مجهود يذكر؟!! ولو بعض الأعمال الفردية الفدائية والمحدودة، لما أطلقت فى هذه الحرب السريعة والغريبة ولا حتى رصاصة واحدة؟!.

– إنها جعلت من العرب كلهم ومصر وسوريا على وجه الخصوص موضعاً لسخرية العالم كله، وفى نفس الوقت أعطت لإسرائيل تقديراً واحتراماً لا تستحقه، لأن انتصارها

لم يكن بسبب قوتها وجهودها واجتهادها، بقدر ما كان بسبب إهمال وتقصير (العرب)؟!!

هذه هى بعض وأهم الأسباب التى كانت تغرينى بعدم الكتابة عن حرب يونيه ١٩٦٧، ولكن أسباباً أخرى كثيرة ومهمة أيضاً دفعتنى للكتابة عن هذه الحرب، ولعل من أهم هذه الأسباب ما يلى:

١ - أن هزيمة يونيه ١٩٦٧ هى واقع تاريخى لا يمكن شطبه ولا يمكن إنكاره أو الادعاء بأنه لم يحدث، لأنه كتب وانتهى الأمر...

٢ - أن استرجاع التاريخ ودراسته وتحليل أحداثه هو الوسيلة الأولى والضرورية للتعليم واكتساب الخبرات اللازمة لتحقيق التقدم .

٣ - أن هزيمة يونيه ١٩٦٧ كانت الدافع الأول لدراسة الحقائق، وتصحيح الأوضاع، وتحقيق النصر الكبير فى حرب أكتوبر المجيدة ١٩٧٣.

★ ★ ★

٤ - انتصار أكتوبر المجيد ١٩٧٣

وبعد أن كتبنا وتعرفنا على الحرب التى لا يمكن بكل المقاييس أن تعتبر حرباً، وقرأنا وضحكنا - وشر البلية ما

يضحك؟! - مما حدث في هذه الحرب المهزلة والتي أطلق عليها المنتصرون الصهاينة اسم (حرب الأيام الستة) رغم أنها بدأت وانتهت في أقل من ست ثوان أو على الأكثر ست دقائق، بل ويمكن أن نقول إنها انتهت قبل أن تبدأ!! وقد تكلمنا عنها وبأكثر مما تستحقه في الصفحات السابقة، وحان الوقت الآن لنكتب عن (الحرب الحرب) أو (الحرب الحقيقية) والتي أطلق عليها الكثير من الأسماء مثل: حرب العبور، المفاجأة، الزلزال، الأسطورة، الدرس، حرب الكرامة، حرب التاريخ.. وغير ذلك من الأسماء التي تستحقها هذه الحرب عن جدارة واستحقاق.. لأنها حرب أكتوبر العظيم، أول على الأصح: انتصار أكتوبر المجيد...

ولنبدأ الحكاية باختصار أيضاً ولكن من أولها..

بعد نكسة ١٩٦٧، دخلت مصر صراعاً رهيبا وصعباً لمحاولة بناء قواتها المسلحة من جديد أو من الصفر.. وفي سبيل تحقيق ذلك، فقد دخلت في حرب طويلة وساكنة وغير مباشرة مع العدو الإسرائيلي، وهي الحرب التي أطلق عليها اسم (حرب الاستنزاف) لأنها كان لها أكثر من هدف استراتيجي وسياسي وعسكري مهم وضروري جدا:

أ - فعلى المستوى الاستراتيجي والمعنوي: كان الهدف منها منع تسلل اليأس والإحباط والاستسلام لما حدث في يونيه ١٩٦٧ على أنه النهاية التي لا أمل بعدها أو الموت الذي لا حياة بعده.. بحيث تبقى جذوة انتظار الغد الأفضل مشتعلة في نفوس المصريين بل وفي نفوس العرب جميعا، حتى وإن كانت هذه الجذوة المشتعلة مجرد ضوء شمعة صغيرة زابلة وزاوية، إيمانا بأن أقل وأضعف ضوء قادر على تمزيق وإزالة أكبر وأقوى ظلام؟!

وقد حدثت بعض المعارك الصغيرة والمحدودة، ووقعت بعض الحوادث والأحداث المعبرة والمؤثرة، والتي لعبت كلها دوراً مهما وضرورياً في تنمية روح المقاومة وتأكيد وتثبيت الثقة في إمكان الثأر من العدو الصهيوني ومحاربته والانتصار عليه وطرده من الأرض التي احتلها بالخداع والمفاجأة.. ومن أهم هذه المعارك والأحداث ما يلي:

١ - معركة رأس العش (يوليو ١٩٦٧):

فلم يكد يمضي شهر واحد تقريبا على وقوع النكسة حتى اشتبك بعض جنود القوات المسلحة المصرية مع بعض قوات العدو الإسرائيلي، وفي هذه المعركة الصغيرة أثبت المصريون

أنهم مازالوا أحياء وقادرين على محاربة العدو الإسرائيلي، ولقن أبطال الصاعقة من المصريين هذا العدو المغرور درساً لا ينساه فى فنون القتال وأثبتوا أن الجندى المصرى إذا دخل حربا حقيقية، فإنه قادر على دحر العدو وتحقيق النصر..

٢ – معركة الطائرات فى منطقة العين السخنة (يوليو ١٩٦٩).

٣ – هجوم (٥٠) طائرة مصرية على مواقع إسرائيلية كثيرة ومختلفة فى شرق القناة (رمانة، شرق الإسماعيلية، العين السخنة)، وفى أسابيع قليلة ومتوالية (٢٤ يوليو، ١١ سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر ١٩٦٩)..

٤ – تدمير المدمرة الإسرائيلية (إيلات) أمام شواطىء بورسعيد فى (٢١ أكتوبر ١٩٦٧م) وإغراقها ومقتل (٤٧) ضابطا وجنديا كانوا عليها وجرح أكثر من مائة من رجالها.. وهى المدمرة التى تم بناؤها سنة ١٩٤٢، وشاركت فى معارك الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٤، ثم باعتها انجلترا لإسرائيل سنة ١٩٥٥م بمبلغ (٣٥ ألف جنيه استرلينى)، فجددتها بالكامل قبل أن تدخل الخدمة الفعلية حيث شاركت فى حرب العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ واشتركت فى أسر

المدمرة المصرية التى كان اسمها (إبراهيم الأول)... وهكذا كان اشتراك (إيلات) لأول مرة ضد المصريين، وكان تدميرها وإغراقها أيضاً سنة ١٩٦٧ على يد المصريين؟!! ففى الساعة السابعة من مساء يوم السبت الموافق (٢١ أكتوبر ١٩٦٧)، وبعد مرور أقل من خمسة شهور فقط على تعرض الجيش المصرى لنكسة يونيه ١٩٦٧، أطلقت القوات المصرية أربعة صواريخ من طراز (ستيكس) على المدمرة الإسرائيلية إيلات فدمرتها وأغرقتها، وكأنها تنتقم منها بعد أحد عشر عاماً لاشتراكها فى العدوان الثلاثى الغادر والغاشم على (بورسعيد) التى غرقت أمام شواطئها!

ويبدو أن المدمرة (إيلات) لا تحب القتال وأنها غاوية منظرة! ففى سنة ١٩٥٩م اشتركت فى مساعدة ضحايا الزلزال الكبير الذى أصاب جزيرة قبرص بقوة، وفى سنة ١٩٦١م شاركت فى تمثيل وتصوير فيلم (الخروج) أو (إكسودس) بطولة بول نيومان، ولأن دور البحرية الإسرائيلية كان محدودا جدا فى حرب يونيو ١٩٦٧م، وفشل فشلا ذريعا فى كل المهام العسكرية التى كلف أو قام بها تحت قيادة اللواء (شلومو أرئيل)، مثل بعض العمليات التى كلفت بها

قوات الكوماندوز البحرية فى كل من سوريا ومصر ولبنان، فإن المدمرة (إيلات) قد كلفت بمهمة صغيرة ومحدودة تماما وهى استطلاع ومراقبة الشواطئ المصرية شمال سيناء فى مسار يبدأ من ميناء أشدود الإسرائيلى فشواطىء العريش لينتهى عند ميناء بورسعيد ومدخل قناة السويس الشمالى على البحر المتوسط، وهى مهمة قال الخبراء العسكريون إنها لم تكن لها أى ضرورة أكثر من مجرد إظهار الوجود واستعراض العضلات..

ب - وعلى المستوى العسكرى:

كان لحرب الاستنزاف أهداف كثيرة ومهمة، لعل أولها وأبرزها إعادة الثقة لكل عسكرى مصرى تأثر من هزيمة يونيه ١٩٦٧م وعانى من آثارها الإعلامية والإعلانية الكثيرة والكثيفة والموجهة إلى كل مصرى عسكريا كان أو مدنياً، وأقلها وأبسطها الادعاء المغرض والكاذب بأن المصريين لايصلحون للحرب ولا يقدرون على تبعاتها.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن حرب الاستنزاف كانت أفضل وسيلة لخلق وإعداد وتدريب جيل جديد عايش وواجه ظروف الحروب الحقيقية.. وقد استمرت حرب الاستنزاف هذه لمدة ست

سنوات وثلاثة أشهر تقريبا (من يونيه ١٩٦٧ وحتى أكتوبر ١٩٧٣) عندما تحقق لمصر كلها النصر العظيم..

ولأننى هنا فى هذه الصفحات لا أقوم بدور المؤرخ، ولأن الكتّاب والمؤرخين قد سودوا ملايين الصفحات، وملئوا المكتبات بمئات الكتب التى تتحدث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتعرض مراحلها وتحلل نتائجها وتعدد آثارها الكثيرة والمتنوعة على كل من اشترك فيها أو حتى سمع عنها وعاصرها، لذلك استسمح القارئ اللبيب لكى أعرض لها باختصار معقول ومقبول، تاركاً له حرية البحث بنفسه عن المزيد من جزئيات وتفاصيل هذه الحرب إذا أراد:

●● البيان الأول؛ وحتى البيان الخامس:

صدر البيان الأول عن بداية حرب أكتوبر - أو أذيع - فى الساعة الثانية والربع بعد ظهر يوم السبت الموافق السادس من شهر أكتوبر سنة ١٩٧٣م، وجاء فيه:

(قام العدو فى الساعة الواحدة والنصف بعد ظهر اليوم بمهاجمة قواتنا بمنطقتى الزعفرانة والسخنة فى خليج السويس بواسطة عدة تشكيلات من قواته الجوية بينما كانت

بعض زوارقه البحرية تقترب من الساحل الغربى من الخليج، وتقوم قواتنا حاليا بالتصدى للقوات المغيرة)..

وبعدها بحوالى عشرين دقيقة، وفى الساعة الثانية وخمس وثلاثين دقيقة أذيع البيان الثانى وكان نصه:

(رداً على العدوان الغادر الذى قام به العدو ضد قواتنا فى كل من مصر وسوريا، تقوم حاليا بعض من تشكيلاتنا الجوية بقصف قواعد العدو وأهدافه العسكرية فى الأراضى المحتلة)..

وفى الساعة الثالثة أذيع البيان الثالث وجاء فيه:

(إلحاقاً للبيان رقم٢، نفذت قواتنا الجوية مهامها بنجاح وأصابت مواقع العدو بإصابات مباشرة وعادت جميع طائراتنا إلى قواعدها سالمة عدا طائرة واحدة)..

وهذا البيان كان إعلاماً خاصاً بالضربة الجوية التى قامت بها أكثر من (٣٠٠) طائرة عسكرية مصرية، وهى الضربة المركزة التى خطط لها ونفذها السلاح الجوى المصرى بقيادة (محمد حسنى مبارك) قائد القوات الجوية فى ذلك الوقت ورئيس جمهورية مصر العربية منذ عام ١٩٨١ بعد اغتيال الرئيس (محمد أنور السادات) الذى لعب يوم (٦ أكتوبر)

دوراً عظيماً فى حياته ومماته معاً: فقد تولى رئاسة مصر فى (٦ أكتوبر ١٩٧٠) وقاد معركة تحرير مصر فى (٦ أكتوبر ١٩٧٣) واغتيل أثناء حضوره احتفالات ذكرى النصر العظيم وذلك فى (٦ أكتوبر ١٩٨١)؟!!

ويقول الرئيس (محمد حسنى مبارك) عن هذه الهجمة الجوية الأولى التى قامت بها القوات الجوية المصرية ضد العدو الإسرائيلى فى سيناء:

(فى السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م. وفى تمام الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر، قامت أكثر من (٣٠٠) طائرة بشن غارات قوية مركزة ومتتالية على كل الأهداف والمواقع الإسرائيلية الاستراتيجية والمهمة، ومن خلال هذه الهجمات الجوية التى قامت فيها طائراتنا بأكثر من (٢٥٠٠) طلعة وبارتفاعات منخفضة جداً وصلت إلى (٢٥ - ٣٠) متراً تقريباً، وعبرت كلها قناة السويس وأغارت على أهدافها فى توقيت واحد، ورغم أن المعركة الجوية تستغرق ما بين (١٠) دقائق إلى (١٥) دقيقة تقريبا إلا أن بعض طيارينا اشتبكوا مع العدو فى معارك جوية تعدت نصف الساعة، بل وصلت بعضها إلى (٤٥ - ٥٠) دقيقة.. وفى الطلعات الأولى لقواتنا

الجوية تمكنت من تدمير أكثر من (١٠٠) طائرة و(٨٠٠) دبابة، كما بلغ ضحايا حرب أكتوبر من الإسرائيليين العسكريين حوالى (٣٠٠٠) قتيل و(١٠٠٠٠) جريح...).

وطبقا للبيانات العسكرية المختلفة عن حرب أكتوبر وعن هذه الهجمات الجوية الأولى نعرف أن الطائرات المصرية قد نجحت فى مهاجمة وتدمير: (ثلاثة مطارات، أربعة مراكز قيادة، عشرة مواقع صواريخ مضادة للطائرات من طراز هوك، عدد كبير من محطات الرادارات ومرابض المدفعية الأرضية والجوية)..

ويقول المشير (عبدالغنى الجمسى) فى مذكراته عن هذه الطلعات: (إن القوات الجوية بقيادة اللواء الطيار محمد حسنى مبارك حققت نجاحاً كبيراً فى توجيه هذه الضربة الأولى. وذلك بأقل الخسائر الممكنة والتى وصلت إلى فقد خمس طائرات فقط من بين الطائرات الثلاثمائة المشاركة فى الهجوم أى بنسبة (١٦/١٠٠٠)، وهى نسبة تقل كثيرا عما كان متوقعاً. وهذه النتائج تعكس الجهد الكبير الذى بذلته قواتنا المسلحة والقوات الجوية فى التحضير والإعداد والتخطيط خلال فترة ماقبل الحرب) ..

ونعود لمتابعة البيانات الخمسة الأولى عن حرب أكتوبر المجيدة : صدر البيان الرابع فى الساعة الثالثة وعشرين دقيقة وجاء فيه : (حاولت القوات المعادية الاستيلاء على جزء من أراضينا فى غرب القناة. وقد تصدت لها قواتنا البرية وقامت بهجوم مضاد ناجح، وبعد قصفات مركزة من مدفعيتنا على النقط القوية المعادية، قامت قواتنا باقتحام قناة السويس مطاردة العدو إلى الضفة الشرقية فى بعض مناطقها، ومازال الاشتباك مستمرا على الضفة الشرقية لقناة السويس) ..

وفى الساعة الرابعة وست دقائق أذيع البيان الخامس، وقد ذكر بعض تفاصيل عمليات عبور القوات المصرية للقناة: (نجحت قواتنا المصرية المسلحة فى اقتحام قناة السويس فى قطاعات عديدة، واستولت على نقط العدو القوية بها ورفع علم مصر على الضفةالشرقية من قناة السويس. كما قامت القوات المسلحة السورية باقتحام مواقع العدو فى مواجهتها وحققت نجاحا مماثلا فى قطاعات مختلفة) ...

وإذا كان البيان السادس لم يضف جديدا للبيانات السابقة، فإن البيان السابع والذى أذيع فى الساعة السابعة وخمس وثلاثين دقيقة قد أوضح باختصار شديد نجاح عبور المصريين لقناة السويس فقال : (نجحت قواتنا المسلحة فى

عبور قناة السويس على طول الجبهة، وتم الاستيلاء على معظم الشاطىء الشرقى للقناة. وتواصل قواتنا حاليا قتالها مع العدو بنجاح) ...

وهنا نترك البيانات العسكرية ونعرض لبعض تفاصيل عملية العبور الكبير والتغلب على الساتر الترابى ثم تحطيم حصون خط بارليف :

أ - العبور الكبير :

١ - عبرت مجموعات من قوات الصاعقة والمهندسين المتخصصين قناة السويس ليلة الخامس من أكتوبر إلى الضفة الشرقية وقامت بسد وتعطيل مواسير اللهب التى كانت القوات الاسرائيلية قد أعدتها لإشعال مياه القناة عند محاولة المصريين عبورها ..

٢ - فى الساعة الثانية والنصف إلا خمس دقائق من بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م، بدأ نزول قوارب المطاط المصرية للقناة تحت وابل من نيران العدو الذى كان بدأ يفيق من المفاجأة، ورغم هذه المقاومة الشديدة، فإنه وخلال دقائق كان على سطح مياه القناة أكثر من ستمائة قارب مطاطى فى كل قارب منها ثمانية مقاتلين أى حوالى

(٨×٦٠٠) أربعة آلاف وثمانمائة مقاتل مصرى شجاع ومتحمس شقوا طريقهم الصعب والمستحيل إلى الضفة الشرقية للقناة تحت عاصفة شديدة من نيران العدو المرعوب والمدافع عن نفسه باستماتة ..

٣ – فى الساعة الثالثة إلا ثمانى دقائق تم مد الكبارى الخاصة باستكمال العبور، حيث راحت القوات البرية تعبر إلى الضفة الشرقية حتى وصل عدد القوات المصرية التى عبرت الى (١٠٠٠) ضابط و(١٤ ألف) جندى . وفى نفس الوقت عبر لواء دبابات برمائية ضخمة من طراز (تبى ٦٧) ، ومن خلفه عدد كبير من المدرعات السابحة من طراز (توباز) المعروف، ومعهما عبرت أيضا مجموعة من الطائرات التى نقلت أعداداً كبيرة من قوات المظلات والقوات الخاصة وأنزلتهم عند منطقة المضايق انتظارا للمشاركة فى تطوير القتال ...

ب – الساتر الترابي وخط بارليف :

بعد أن احتلت اسرائيل شبه جزيرة سيناء كلها تقريبا ووصلت بقواتها إلى الضفة الشرقية لقناة السويس، ورغم انتصارها الكبير والسريع والمفاجيء فى حرب الأيام الستة

كما أطلقوا عليها أو نكسة يونيو كما أسميناها نحن، فإن الإسرائيليين ظلوا يخشون المصريين وراحوا يعملون بكل جهودهم وامكاناتهم استعدادا ليوم يضطرون فيه إلى مواجهة الجيش المصرى الذى لابد وأن ينتفض يوما لمحاربتهم وطردهم من الأرض المصرية المحتلة والانتقام لشرفه المهدر واستعادة كرامته الضائعة فى مهزلة ماسمى بـ (نكسة يونيو) ... وفى محاولة يائسة ومضحكة أيضا - وشر البلية مايضحك- ولتصعيب الأمر على الجيش المصرى إذا مافكر قادته يوما فى عبور قناة السويس لمحاربة وطرد الجيش الاسرائيلى من الأرض المصرية (سيناء) المحتلة ، فقد فكر أحد القادة العسكريين الاسرائيليين وهو الجنرال (حاييم بارليف) فى تقليد خط (ماجينو) الذى فكر فيه وأمر بإقامته وزير الحربية الفرنسى (أندريه ماجينو) سنة ١٩٢٩ م . وامتد على طول الحدود الشرقية لفرنسا - من حدود سويسرا وحتى حدود بلجيكا - وكان يحتوى على تحصينات قوية وحديثة ولكنه لم يصمد طويلا وسقط أمام هجمات الجيوش الألمانية سنة ١٩٤٠ . وتقليدا لخط (ماجينو) الفرنسى هذا، أقام الجنرال بارليف خطاً دفاعياً وقوياً وعلى

أحدث الأساليب العصرية والمتميزة. وكان خط (بارليف) الحصين مكوناً من ساتر رملي من الأتربة والرمال الناعمة ممتد على طول جبهة قناة السويس وبارتفاع يتراوح مابين (١٠) و(٢٠) مترا، ومن وراء هذا الساتر شيد الاسرائيليون اكثر من (٦٠) مركزا حصينا على خطين متواليين، وكان كل مركز منها قائماً بذاته ومستقلا بكل احتياجاته ويستوعب (٨٠ – ١٠٠) فرد تقريبا . وأمام هذه المراكز أقام الاسرائيليون شبكة من الأسلاك الشائكة المكهربة تسبقها إلى جهة القناة مساحة كبيرة من حقول الألغام (حقول الموت) .. وكان خط (بارليف) هو اكبر الصعوبات وأعقد المشكلات التى يمكن أن تواجه القوات المصرية إذا نجحت أصلاً في عبور قناة السويس.. وكان عبور دبابة واحدة عبر هذا الساتر الترابى الصعب يتطلب من العابرين المهاجمين إزالة اكثر من(١٥٠٠) ياردة مكعبة من الرمال، ولما كانت التقديرات المبدئية تشير إلى أن عبور القوات المصرية يحتاج إلى أكثر من (٦٠) ثغرة فى الساتر الرملي لكى تمر منها إلى سيناء، أى أن القوات المصرية كانت تحتاج لإزالة ما حجمه (٩٠) ألف ياردة مكعبة من الرمال ، وكانت التقديرات الهندسية

تقدر أن الوقت اللازم لإحداث ثغرة واحدة في الساتر الرملي تحتاج لعمل مستمر لمدة تصل إلي خمس عشرة ساعة متواصلة تقريبا، وبحسبة بسيطة فإن فتح الثغرات الستين المطلوبة كانت تحتاج لأكثر من (٩٠٠) ساعة تقريبا من العمل الشاق والمستمر تحت نيران القوات الاسرائيلية.. وللتدرب على هذا العمل شبه المستحيل لفتح الثغرات المطلوبة في هذا الساتر الترابي الضخم والغريب، قامت القوات المسلحة المصرية بإقامة ساتر رملي مشابه تقريبا للساتر الاسرائيلي، وذلك في جزيرة البلاح، وأخذوا يجربون الطرق المختلفة لمحاولة فتح ثغرات في هذا الساتر المقام للاختبار، لكن كل الوسائل العادية والمعروفة فشلت تماما في تحقيق الهدف المطلوب. فجرب الخبراء وسائل التفجير الكثيرة والمختلفة ولكن النتائج كلها كانت دافعة للإحباط وفقدان الأمل، إذ كانت الرمال تتطاير من المكان الذي تصيبه القنابل والصواريخ وكل وسائل التفجير المختلفة، وبعد أن تفتح مكانها الثغرة المطلوبة فإن الرمال المجاورة للثغرة تنهار وتنساب بسرعة لتسد الفتحة مرة أخرى... ولذلك تخلى الخبراء والمهندسون عن فكرة استخدام المتفجرات لفتح هذه

الثغرات المطلوب فتحها فى الساتر الرملي.. وبعد أبحاث كثيرة وتفكير طويل جاء الحل المعجزة على يد واحد من مهندسي سلاح المهندسين فى الجيش المصرى ، وهو أحد المهندسين المصريين المتفوقين من الذين كانوا يعملون في بناء السد العالى بأسوان. وكانت فكرته البسيطة تقوم على أساس استخدام خراطيم مياه ذات نوعية خاصة جدا من البلاستيك الذى يتحمل الضغط القوى للمياه التى تضخها فيها مضخات قوية استوردت خصيصاً من انجلترا، وبعد التجارب الميدانية والأولية استعيض عنها بمضخات أقوى وأكثر كفاءة ألمانية الصنع . وبعد التجريب والتطوير أمكن فتح ثغرة كبيرة فى الساتر الرملى تكفى لعبور دبابة ضخمة من طراز (تى ٦٧) خلال فترة زمنية قصيرة جدا لم تتجاوز الثلاثين دقيقة فقط. وبذلك أصبح من الممكن فتح الثغرات اللازمة فى الساتر الرملى والكافية لمرور الدبابات والمدفعية وقوات المشاة المزودة بصواريخ (ساجر) التى تطلق وهى محمولة على الكتف. وفى ساعة الصفر، وعندما حان الوقت وجد الجد، انطلق سلاح المهندسين بالقوات المسلحة المصرية، بالطلمبات التى وصل عددها إلى (٣٥٠) مضخة وبخراطيم المياه ذات

المواصفات الخاصة جدا وبعد عمليتى : سد فوهات مواسير النيران، وفتح الثغرات المطلوبة فى الساتر الترابى وتدمير حصون ومخابىء خط (بارليف) ، توالى عبور القوات المسلحة المصرية الى الضفة الشرقية لقناة السويس لتحريرها وتحرير كل الأرض العربية المحتلة من العدو الاسرائيلى ، وكان تزايد القوات العابرة يتم بصورة شبه اعجازية ولم يسبق لها مثيل فى كل الحروب القديمة والحديثة على مدى التاريخ الحربى كله؛ كما سنرى فيما يلى :

١ – فى الساعة الثالثة بعد الظهر – أى بعد ساعة واحدة تقريبا من بداية العبور العظيم – كان مجموع القوات المسلحة المصرية التى عبرت الى الضفة الشرقية لقناة السويس قد وصل إلى (٨٠٠) ضباط قائد و(١٣٥٠٠) جندي...

٢ – فى الساعة الرابعة والنصف تقريبا – وبعد ساعتين اثنتين ونصف الساعة من العبور الذى بدأ فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ – كان حجم القوات المصرية التى عبرت إلى الضفة الشرقية

لقناة السويس قد وصل إلى ما يزيد على (١٥٠٠) ضابط وقائد و(٢٢٠٠٠) جندى ...

٣ – بعد ساعة واحدة، وفى تمام الساعة الخامسة والنصف تقريبا أصبح عدد القوات المصرية الموجودة على الضفة الشرقية للقناة حوالى (٢٠٠٠) ضابط و(٣٠٠٠٠) جندى ...

٤ – فى الساعة السادسة مساء كان قد تم فتح اكثر من (ستين) فتحة وممرا فى الساتر الترابى الرملى تم خلالها تجريف أكثر من (٩٠ ألف) متر مكعب من الرمال، وبعد اتمام هذا العدد المطلوب والضرورى من الممرات والثغرات اللازمة لعبور القوات ، بدأ تركيب الكبارى الثقيلة التى يمكن أن تعبر عليها الدبابات والمدرعات، وباقى القوات البرية...

٥ – فى الساعة العاشرة مساء كان قد تم تركيب ثمانية كبارٍ ثقيلة وكبيرة تسمح بعبور القوات المدرعة وسيارات النقل الثقيلة، بالإضافة إلى أربعة كبارٍ خفيفة لعبور المشاة، بينما كانت اكثر من ثلاثين معدية تتحرك بسرعة وقوة لتنقل المزيد من القوات للضفة الشرقية لقناة السويس، وعند منتصف الليل تقريبا كانت القوات المسلحة المصرية التى عبرت قناة

السويس قد وصلت إلى (خمس) فرق كاملة من قوات المشاة والمدرعات بأسلحتها. وكانت معظم مواقع خط بارليف الحصينة قد حوصرت محاصرة كاملة، كما كان قد تم اقتحام وتدمير نصف مواقع (خط بارليف) على الأقل ...

★ تمثيلية (الثغرة) !

نعرف جميعاً ويعرف العالم كله أن للاسرائيليين قدرة مدهشة وبراعة غير عادية على تشويه الحقائق والالتفاف حول الوقائع لتقديم صورة زائفة وغيرصادقة لأحداث رآها وعاشها الناس جميعاً.. وعلى نفس هذا المنوال جاءت (تمثيلية الثغرة) التى ألفها وأخرجها وقام ببطولتها الجنرال (آريل شارون) أحد قادة إسرائيل أيامها ورئيس وزرائها الآن. وكان الهدف الأول والأهم من هذه التمثيلية التافهة والركيكة هو تشويه النصر الكبير وتقليل أهمية العبور المجيد الذى قام به المصريون ، إلى جانب محاولة الإيحاء للجيش الاسرائيلي بأنه مازال قوياً وقادرا على تحقيق الانتصارات، حتى لو كانت انتصارات صغيرة وخادعة ولا قيمة عسكرية ولانتائج إيجابية مؤثرة لها.. ورغم أن القوات الاسرائيلية التى عبرت إلى الضفة الغربية للقناة فيما أطلق عليها اسم (ثغرة الدفرسوار)

وهى العملية الانتحارية التى قادها (الجنرال شارون) وعبر فيها مع مجموعة من قوات المدرعات التى كان قائدا لها؛ إلى الضفة الغربية لقناة السويس موحياً للعالم بأن الإسرائيليين قد عبروا إلى الغرب تماما كما عبر المصريون الى الشرق - رغم أن هذه القوات الإسرائيلية فى الدفرسوار - قد أصبحت محاصرة تماما وتحت رحمة القوات المصرية المحيطة بها من جميع الجهات، إلا أن الإسرائيليين روجوا لها وتحدثوا عنها وصوروها فى كل وسائل الإعلام العالمية على أنها انتصار إسرائيلى كبير!! وليس ذلك بغريب على الإسرائيليين الذين يعيشون فى مجموعة كبيرة من الأوهام والأكاذيب التى يتوهمون أنها حقائق ينبغى على العالم كله أن يصدقها ويعترف بها ويعمل بكل قواه وبكل امكاناته على تأكيدها وحمايتها! ولعل من أكبر هذه الأكاذيب والأوهام التى خلقها الإسرائيليون وصدقوها ويحاولون فرضها على العالم كله بكل الطرق والأساليب التى يتقنونها أكذوبة وخرافة (أرض الموعد) أو أرض إسرائيل من الفرات إلى النيل ! وهو موضوع آخر ليس هذا مكان بحثه ولا مجال دراسته ..

ونعود إلى التمثيلية التليفزيونية أو (ثغرة الدفرسوار) ...

فما هى حكايتها ؟! وماهى نهايتها؟!

علم الجنرال (ديفيد بن اليعازر) رئيس الأركان الاسرائيلى أن أحد ألوية الفرقة المدرعة التى يقودها الجنرال (آريل شارون) يستعد أو هو فعلاً فى طريقه للعبور إلى الضفة الغربية لقناة السويس، فاتصل بالجنرال (جونين) قائد المنطقة الجنوبية فى الجبهة وطلب منه أن يأمر (شارون) بعدم العبور والاكتفاء بتدعيم مواقعه ومهاجمة القوات المصرية العابرة للقناة والاشتباك معها لردها أو القضاء عليها . وأكد رئيس الأركان لقائد المنطقة الجنوبية أن مهمة الاسرائيليين فى هذه المنطقة من الجبهة هى مهمة دفاعية تماما لوقف تدفق وعبور الجيش المصرى الى الضفة الشرقية وتوغله فيها اكثر مما وصل اليه .. وأصدر الجنرال (جونين) أوامره المشددة لِـ (شارون) بعدم شن أى هجوم وعدم العبورللضفة الغربية للقناة، وتظاهر (شارون) بإطاعة الأوامر وأخبر (جونين) بأن قواته قد اشتبكت فى معركة كبيرة مع المصريين وخسرت خلالها خمسين دبابة وطلب منه تعويضه عنها بغيرها، وكان (شارون) يكذب حتى يضاعف قواته المدرعة؟! واستمر يواصل خططه الخاصة به لعبور قناة السويس إلى الغرب !

وتقوية لموقفه ضد أوامر قادته، وتأميناً لمستقبله فى حال فشله وفشل خطته الخطيرة والبعيدة عن المبادىء العلمية العسكرية من جهة، والقريبة لروح المغامرة أو المقامرة بتعبير أصح، اتصل (شارون) بالجنرال (دوف زيون) المساعد الأول لوزير الدفاع الاسرائيلى (موشى ديان) وطلب منه إقناع قادة الحرب بأهمية عبور قواته المدرعة الى غرب القناة، وقال له بالحرف الواحد :

(إننى أقف الآن فى مياه البحيرات المرة بمنطقة الدفرسوار، ولدىّ خطة جريئة جدا للعبور إلى الضفة الغربية للقناة لأصبح فى قلب القوات المصرية هناك قبل منتصف هذه الليلة)..

وحصل (شارون) على موافقة شفهية من المساعد الأول لوزير الحربية أو وزير الدفاع كما يحبون أن يسموه كذبا وخداعا ؟! فواصل تنفيذ خطته الانتحارية لعبور القناة بفرقته المدرعة. وعندما علم رئيس الأركان الاسرائيلى بأن (شارون) يرفض تنفيذ أوامره العسكرية، توجه بنفسه لمقابلة (موشى ديان) وزير الدفاع وشرح له كيف أن (شارون) يعصى الأوامر العسكرية واجبة التنفيذ وأنه يتصرف وكأنه القائد

الأعلى للقوات الاسرائيلية أو كأنه جيش منفصل وقائم بذاته!
وسأله (ديان) :

– وما الذى يريده (شارون) بالضبط !

فأجابه (ديفيد بن اليعازر) :

– إنه يريد عبور قناة السويس للضفة الغربية ...

– ومتى سيعبر ؟!

– الليلة ...

قال (ديان) ضاحكا :

– فليعبر كما يريد ...

رد (بن اليعازر) غاضبا :

– ولكنه ينتحر ...

نظر (ديان) حوله وقال :

– فلينتحر .. هو بالغ السن ومسئول تماما عن نفسه وعن تصرفاته !!

– إنها مغامرة ، بل مقامرة أقرب للانتحار .. ولا يمكن أن أتحمل نتائج مثل هذا العمل الخطير الذى يريد أن يقوم به (شارون) ...

– هو يتحمل مسئولية عمله سكت (بن اليعازر) قليلا ثم قال مترددا :

– اقترح عليك ياسيدى إذن أن تقيله من منصبه حماية له ولجيش الدفاع الإسرائيلى ...

هز (ديان) رأسه، وسكت لحظات ثم قال بأسى :

– لا أستطيع اقالته فى مثل هذه الظروف أو فى هذا الوقت من الحرب الصعبة التى نواجهها جميعا اليوم ...

– تستطيع اقالته وتعيين شخص آخر أفضل وأعقل منه ياسيدى .. ضحك (ديان) مقهقهاً ثم قال بلهجة متفلسفة :

– قد أجد من هو أفضل من (شارون) ، ولكن أعقل منه كيف؟!

هذه الحرب هي حرب مجنونة حقا، ولا تحتاج إلى العقلاء بقدر ماتحتاج للمجانين ..

فكر (ديفيد بن اليعازر) رئيس الأركان ثم قال :

– ولكن الجنون درجات ، وجنون (شارون) من النوع القاتل ..

رد عليه (ديان) بسرعة وحسم :

– دعنا نرى جنونه القاتل هذا .. فإما أن يقتل المصريين أو أن يقتل نفسه .. فلنعط الفرصة للمجانين ...

– أرجو أن تقيله الآن ياسيدى قبل أن يقودنا للدمار..

ضحك (ديان) ثم نظر فى عينى (بن اليعازر) وقال :

– العرب يقولون فى مثل هذا الموقف الذى نواجهه (على نفسها جنت براقش) ، ودعنا نحن نقول الآن : على نفسه جنى شارون ... إننا الآن نواجه الموت، والميت أشجع من الحي... فلنتركه يعمل فقد ينجح فى تحقيق نصر صغير كحجم الكف الذى نستطيع أن نخفى وراءه وجوهنا الحزينة وعيوننا الذليلة ...

– ولكنه ..

لا أستطيع أن أقيله .. أنت تعرف أن (شارون) محبوب جدا من جنوده ، وله نفوذ سياسى قوى من خلال أصدقائه فى الكنيست .. كما أن له علاقات وثيقة بالصحافة الاسرائيلية والعالمية أيضا .. لذلك لا أستطيع إقالته حتى لا يدعى أنه كان سيقلب الحرب وسيحقق النصر على المصريين بعبوره إلى غرب القناة لولا أننا أقلناه.. فلنتركه لقدره ...

وعاد (بن اليعازر) يفكر ثم اقترح حلاً آخر :

– إذن اقترح ياسيدى تعيين (حاييم بارليف) بدلا من (جونين) حتى يمكننا التحكم فى (شارون) والحد من اندفاعاته الخطيرة ...

– هذا اقتراح مقبول ومعقول أوافق عليه بلا جدال ...

وانصرف رئيس الأركان (ديفيد اليعازر) من مقابلته مع (موشى ديان) وزير الدفاع، وهو غير مقتنع تماما بما حققه، ولكن لم يكن فى الإمكان أفضل مما كان !!

ملحوظة: هذا الحوار السابق لم أسمعه ولم أقرأه، ولكننى تخيلت أنه قد دار بهذا الشكل بين (بن اليعازر) و(ديان) ، من خلال وبسبب معايشتي وتفاعلى مع تمثيلية (الثغرة) ، ولذلك أكرر وأؤكد أنه حوار تمثيلى متخيل وليس حوارا منقولا عن نص موثق !

والمهم فى قصة أو تمثيلية (الثغرة) هذه، وباختصار غير مخل وتفصيل غير ممل، أن (موشى ديان) وزيرالدفاع و(جولدا مائير) رئيسة الوزراء، قد عقدا اجتماعا موسعاً وسريا مع قادة الجيش الاسرائيلى ، وقرروا بدون تردد أن عبور القوات الاسرائيلية أصبح ضرورة ملحة وسريعة حتى يمكن رفع معنويات الاسرائيليين، وايقاف عبور وتقدم المصريين وإفهام العالم كله أن اسرائيل مازالت قوية وقادرة على التحكم فى سير الحرب وتوجيه القتال كما تريد ... وخلال هذه الساعات القليلة والحاسمة ، كانت قوة من

المدرعات الاسرائيلية بقيادة الكلونيل (أمنون رشيف) قد وصلت إلى حافة البحيرات المرة واكتشفت الممر المناسب جدا لعبور القناة الى الضفة الغربية ، فيما يطلق عليه الخبراء العسكريون اسم (المفصل) وهى منطقة بين الجيشين الثانى والثالث المصريين حيث تتوزع مسئوليات الحماية والدفاع والتأمين بين الجيشين، فتهمل من كل من الجيشين ويسهل اختراقها على المهاجمين ..

وفى اليوم العاشر من الحرب (الخامس عشر من اكتوبر)، اجتمع كبار قادة الجيش الاسرائيلى لوضع اللمسات الأخيرة لتنفيذ قرار اتخذته (جولدا مائير) رئيسة الوزراء لعبور قناة السويس إلى الضفة الغربية بناء على توصية من (أريل شارون) الذى كان مازال مصمما على الانتحار!

وبعد ساعات قليلة من اجتماع مجلس الحرب الاسرائيلي، وقبل الاتفاق على كل تفاصيل عملية العبور الاسرائيلى للضفة الغربية وخصوصا تحديد موعد تنفيذ هذا العبور الحلم، عرف الاسرائيليون أن المصريين سيعبرون بفرقتين مدرعتين الى الضفة الشرقية للقناة، فاضطروا لتأجيل عبورهم للغرب حتى يتمكنوا من مواجهة القوات المصرية العابرة، وفعلا عبرت

القوات المدرعة المصرية واشتبك الطرفان المصرى. والاسرائيلى فى أكبر معركة للدبابات من نوعها فى التاريخ الحربى القديم والحديث .. حيث اشتركت أكثر من ألف دبابة ومدرعة فى هذه المعركة الرهيبة والتى لا نظن أنها يمكن أن تتكرر فى أية حرب أخرى قادمة، بعد تطور وتغير أسلحة ونظم القتال اليوم وفى المستقبل....

ثم عاود مجلس الحرب الإسرائيلى اجتماعه وأسند إلى (شارون) مهمة عبور القناة، واحتلال قطعة من الأرض المصرية على الضفة الغربية فى أسرع وقت وبأى ثمن، وعندما كلف (شاون) بالمهمة التى عاش يحلم بها، تحدث أمام قادة مجلس الحرب قائلا:

(كم أنا سعيد لموافقتكم على قيامى بهذه المهمة الصعبة والضرورية والتى حلمت بها وخططت لها طوال الأيام الماضية.. والمشكلة الوحيدة التى يمكن أن تقابلنا فى هذه المهمة هى أن نصل إلى مياه قناة السويس ونقيم رءوس جسور على ضفتى القناة قبل الفجر بوقت كاف، حتى لا يكتشف المصريون خطتنا ويستعدوا لنا وينتظروا قواتنا القليلة العابرة إليهم بقوات ضخمة من المدرعات والطائرات

وغيرها... إن حسن التوقيت وسرعة التنفيذ والمفاجأة الكاملة هى أهم عناصر نجاح هذه الخطة التي يمكن أن تقلب نتائج هذه الحرب الشرسة رأساً على عقب)...

لقد كان كل جنرالات الحرب فى إسرائيل ضد هذه العملية التى كانوا يرون أنها قد تكلفهم كثيرا، ولكن اقتناعهم بأن احتمالات نجاحها ومهما كانت قليلة وضئيلة يمكن أن تمنحهم وتتيح لهم (نصراً) من نوع ما، من خلال مجرد الإعلان عن وجود القوات الإسرائيلية على الضفة الغربية للقناة، قبل أن تتدخل الدول الكبرى وتفرض وقفاً إجبارياً وملزماً لإطلاق النار. وحاول كثير من القادة الإسرائيليين إثناء (شارون) عن هذه العملية وإقناعه باستحالة إتمام مثل هذا العبور الخطير، بل واستحالة بقاء القوات الإسرائيلية القليلة والمحدودة حتى إذا ما فرض ونجحت فى عبور القناة للضفة الغربية - استحالة بقائها - فى ظل وجود عشرات الآلاف من المشاة المصريين المسلحين بأحدث وأقوى الأسلحة، بالإضافة لوجود أكثر من (٥٠٠) دبابة مصرية مع هذا الجيش العرمرم والمتحمس من المشاة.... لكن (شارون) ولأسباب غير معروفة

وغير مفهومة رفض كل هذه النصائح وأصر على تنفيذ خطته مهما كانت النتائج...

ويدأ إخراج وتمثيل وتصوير تمثيلية (الثغرة).....

ففى الساعة الثامنة مساء من يوم (الخامس عشر) من أكتوبر ١٩٧٣، بدأت قوات المظلات الخاصة عبور القناة فى زوارق مطاطية لتأمين رأس جسر على الضفة الغربية للقناة. وفى الساعة الحادية عشرة مساء نفس الليلة، كان قد تم مد الجسور والكبارى المطلوبة كلها لتعبر عليها أربعمائة دبابة إسرائيلية مجهزة للمعارك الليلية. وقامت القوات الخاصة بالاشتراك مع الدبابات بتدمير مواقع صواريخ (سام ٧) المصرية حتى تتمكن كل الطائرات الإسرائيلية من الاشتراك فى العملية (التمثيلية) وتغطية القوات العابرة. وفى الساعة السابعة إلا ثمانى دقائق من صباح اليوم التالى، كانت إسرائيل تعلن للعالم كله عن عبورها القناة واحتلالها لجزء كبير من الأراضى المصرية فى الضفة الغربية، وجاءت (جولدا مائير) رئيسة الوزراء بنفسها وصورتها وسائل الاعلام فى أماكن مختلفة على الضفة الغربية للقناة وهى تعلن بكل الكذب والبجاحة وللعالم كله عن الانتصار الإسرائيلى الكبير فى

حرب ١٩٧٣!! وهو انتصار تمثيلى كاذب وخادع وقائم على الغش والتضليل، والدليل على ذلك أنه إذا كان انتصاراً فعلياً وحقيقياً:

● فلماذا وصف الجنرال (ابراهام برن) قائد المدرعات الإسرائيلية فى سيناء حرب أكتوبر (حرب كيبور) بأنها كانت فضيحة عسكرية؟!

● ولماذا قالت لجنة (أجرانات) الإسرائيلية بعد إجرائها للتحقيقات الكثيرة والمدققة عن (حرب كيبور) بأنها حرب فاشلة تماما ولم يحقق فيها الإسرائيليون أى انجاز عسكرى أو سياسى أو حتى إعلامى مشرف؟!

● ولماذا تمت إقالة الجنرال (إيلى زاعيرا) رئيس جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية، وطرد الجنرال (جونين) قائد المنطقة الجنوبية فى سيناء؟!

● ولماذا ترك (موشى ديان) أسطورة حرب يونيو ١٩٦٧ ووزير الدفاع الإسرائيلى خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ – لماذا ترك – مناصبه وحياته العسكرية كلها للمشاركة فى حياة سياسية صغيرة لم يبق بها طويلا؛ إذ مات متحسراً وحزينا

على تاريخه العسكرى الذى دمر تماما فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م؟!

● ولماذا قدمت (جولدا مائير) رئيسة الوزراء الإسرائيلية إبان حرب كيبور ١٩٧٣م. استقالتها من منصبها إلى الكنيست فى أكتوبر ١٩٧٤م؟! إن الإجابة الصادقة على هذه الأسئلة السابقة تبين حقا من هو المنتصر ومن هو المنهزم فى حرب أكتوبر ١٩٧٣؟!!

أما بالونة الهواء أو فقاعة الصابون التى يلعب بها الأطفال والتى أطلق عليا اسم (ثغرة الدفرسوار)، فقد انفجرت وتناثرت ولم تترك وراءها أى أثر ولا حتى أية علامة يمكن أن تذكر!! اللهم إلا هذه الحكاية الفكاهية أو المأساوية التى ذكرناها عنها فى السطور القليلة السابقة، والتى لم يعد أحد يكتب عنها إلا كنكتة سخيفة!!

وبعد... فقد حاولت أن أكتب عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ المجيدة كل ما يجب أن يكتب عنها بكل الصدق، وأرجو الله أن أكون قد وفقت فى هذا الملخص المختصر جداً عن حرب عظيمة وكبيرة وخالدة كتبت عنها مئات الكتب وعشرات الدراسات كمثال نادر وينبغى أن يدرس وأن يحتذى فى كل

من: التخطيط، التدريب، الإعداد، الإمداد، التوقيت، التنفيذ، بل وحتى فى إصدار قرار إنهائها ووقف إطلاق نيرانها فى الوقت المناسب له تماماً... والآن لا أجد أمامى إلا إجبار نفسى وقلمى على التوقف عن الكتابة، لأننى إذا طاوعت نفسى وقلمى فسأكتب وأكتب وأظل أكتب عن حرب أكتوبر ١٩٧٣م ثم عن حرب السلام وزيارة الرئيس (السادات) للقدس فى سنة ١٩٧٧م حتى آخر العمر... ولكننى مضطر أن أتوقف عن الكتابة عند هذا الحد، تاركاً للقارئ اللبيب فرصة الاطلاع بنفسه على كل الكتب التى قرأتها بتدقيق واستخلصت منها هذه الصفحات القليلة جداً عن هذه الحرب العظيمة جداً (حرب أكتوبر ١٩٧٣)، وهى كتب لو كتبت أسماءها فقط فستملأ هذا الكتاب كله!!

★★★

٥ - غزو وتحرير الكويت ١٩٩٠م

★ تمهيد ضرورى ومهم...

فى أغسطس سنة ١٩٨٥م، اشتركت فى مسابقة أدبية كان موضوعها عن (الحرب الإيرانية/ العراقية)، وفى هذه المسابقة التى نظمها اتحاد العمال المصرى بالتعاون مع وزارتى الثقافة والعمل العراقيتين شاركت بعمل مسرحى

عنوانه: (أرض مين؟) وقد حصلت مسرحيتى المذكورة على جائزة، وكانت الجائزة عبارة عن رحلة لزيارة العراق الشقيق لمدة أسبوعين فى ضيافة وزارة العمل ووزارة الثقافة العراقيتين.

المهم أننى سافرت إلى العراق آخر الدول العربية إلى ناحية الشرق، كما سبق وسافرت إلى المملكة المغربية للمشاركة فى أسبوع شباب الجامعات العربية سنة (١٩٧٧) وهى آخر الدول العربية إلى ناحية الغرب، أذكر ذلك لأبين للقارئ اللبيب أننى قد ذهبت إلى طرفى الوطن العربى من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق؟!!

وحمداً لله أننى قد عدت من رحلتىّ سالماً إلى حيث أقيم فى وطنى (مصر) قلب الوطن العربى...

وعندما سافرت إلى العراق سنة (١٩٨٥) كنت فرحاً وسعيداً ومتفائلاً، وعندما عدت منها بسلامة الله وجدتنى قلقلاً جداً وآسفاً ومشفقاً، واليوم وأنا أكتب هذه السطور فى سنة ٢٠٠٥م أجدنى حزيناً وخائفاً... وليسمح لى القارئ الحبيب أن أشرح وأوضح له سر حالاتى النفسية والعقلية والعاطفية الثلاث التى ذكرتها وأشرت إليها فيما بين سفرى

إلى العراق سنة (١٩٨٥) وبين كتابتى لهذه السطور اليوم سنة (٢٠٠٥)، أى على مدى عشرين سنة كاملة...

عندما عرفت أننى سأسافر إلى العراق الشقيق، بلاد الرافدين وما بين النهرين (دجلة والفرات)، الأرض التى ولد عليها وعاش فيها سيدنا (إبراهيم) الخليل أبوالأنبياء والمرسلين والجد الأول والأكبر لكل المؤمنين، وحارب فيها الكفر والكافرين ودعا إلى عبادة الله الواحد الأحد القادر على كل شئ. فرحت من كل قلبى وسعدت بكل مشاعرى ورحت أمنى النفس برحلة عظيمة ومفيدة وممتعة، وكعادتى قبل أى عمل وقبل أية رحلة حتى ولو كانت إلى قرية صغيرة من قرى بلادى الخضراء، رحت أقرأ كل شئ عن (العراق) تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً... وهكذا سافرت إلى (العراق) وأنا أشعر بأننى ملئ بالعراق فى داخلى، كما كنت مليئاً بالأحلام الحلوة والأمنيات الرائعة...

والحقيقة فإننى سعدت وتمتعت فى الأيام العشرة الأولى التى قضيتها فى بلاد الرافدين، حتى فى زيارتى السريعة لمدينة البصرة والتى حذرونى وحاولوا منعى من زيارتها بسبب الحرب الإيرانية العراقية التى كانت فى أوجها فى ذلك

الوقت، لكننى صممت على زيارة هذه المدينة التاريخية القديمة والشهيرة على مسئوليتى، وشعرت فيها بنفس مشاعر الفرح والسعادة والاستمتاع حتى وأنا أسمع أصوات الانفجارات وأرى نيران الصواريخ والقنابل على البعد من المكان أو الأماكن المختلفة فى (البصرة)، التى كنا نزورها ونتجول فيها ونقابل سكانها السعداء بالأخبار التى يرونها ويسمعونها عن الانتصارات التى يحققها جنودهم البواسل والصناديد على العدو الإيرانى...

أقول إننى كنت سعيداً وفرحاً وفخوراً ومستمتعا فى رحلتى حتى اليوم العاشر. فما الذى حدث فى اليوم العاشر؟!

فى اليوم العاشر من زيارتى للعراق، دعيت للتشرف بمقابلة الرئيس الركن (صدام حسين).. وقابلته لمدة ربع ساعة تقريبا.. وليتنى لم أقابله، بل وليتنى لم أذهب إلى العراق فى تلك الأيام. لقد خرجت بانطباع واحد غريب وغير معقول سيطر علىّ تماماً، ذلك هو أن رئيس العراق الزعيم الركن المهيب والذى يكاد أن يعبده العراقيون جميعا – استغفر الله العظيم لى ولهم – إنسان غير طبيعى بالمرة؟! طريقة كلامه ونظرات عينيه وكثرة تلفتاته من حوله وحركات

يديه، كل شئ فيه أوحى إلىّ بأن هذا الرجل القوى الجسم يعانى من شئ ما فى عقله أو فى مشاعره، وعدت من العراق بسلامة الله وقلت لكل أقربائى وأحبائى وأصدقائى وزملائى عندما سألونى عن العراق وعن رئيس العراق، قلت لهم بكل الصدق: صدام حسين رجل غير طبيعى، لا تستريح إليه وتشعر بأنه يمكن أن يفعل أى شئ فى أية لحظة؟! وسألونى جميعاً نفس السؤال: تقصد أنه مجنون؟!

فأجبتهم بنفس الإجابة: لست طبيباً نفسانياً، ولا يمكن أن أقول إنه مجنون، لكنه غير مريح وغير طبيعى...

ولم يصدقنى أحد من كل الذين قلت لهم هذا الكلام عن الرئيس صدام. واتفقوا كلهم تقريباً على رأى واحد هو أننى أبالغ أو أننى لم أفهمه؟! حتى كان الثانى من أغسطس سنة ١٩٩٠ ... وكانت مفاجأة غزو (صدام حسين) لدولة الكويت، فإذا بكل الذين لم يصدقونى فى رأيى عنه يصيحون فى صوت واحد غاضب ومستنكر:

(إنه إنسان غير طبيعى)!!

وقد أكدت كل الأحداث التالية والتى كان (صدام حسين) بطلها الأول وضحيتها الأولى أيضا أن ذلك الرجل لا يمكن

أن يكون إنساناً طبيعياً أبداً. وتعالوا نراجع معاً بعض أعماله التى قام بها خلال (ربع قرن) تقريباً من الزمان السيئ والحظ التعس الذى جعل منه رئيساً لبلد عربى عريق وعظيم:

● اغتياله لأستاذه ومعلمه الرئيس (أحمد حسن البكر) واستيلاؤه على الحكم من بعده.

● السيطرة على الشعب العراقى الطيب بحكم الحديد والنار.

● قيامه بالكثير من أعمال القمع الدموى ضد بعض العائلات والمدن التى فكرت أو حاولت التصدى لبطشه وديكتاتوريته وعنفه..

● سيطرته الكاملة على كل مقدرات وموارد العراق، وتنصيب نفسه حاكما وحيداً ديكتاتوراً مستبداً، واستعباده القوى والمطلق للشعب العراقى الذى وصل به إلى حافة تأليهه وعبادته - غفر الله لنا ولهم جميعاً. والمجال هنا لا يتسع لتفصيل أو برهان على ما نقول، ويكفى سؤال كل من عاش أوزار العراق أثناء حكم صدام.

● حربه الطويلة مع إيران.

● غزوه لدولة الكويت العربية في الثاني من أغسطس ١٩٩٠ : وهذه الغزوة المجنونة هي موضوع الصفحات التالية، مع عرض موجز للحرب التي شنها المجتمع الدولي كله ضد العراق لتحرير الكويت، حتى نجح الحلفاء في تحقيق التحرير الكامل للكويت في فبراير ١٩٩١..

وقبل أن يأخذنا الحديث المحزن والمفرح عن حرب الكويت وعن تحريرها، أحب ويجب أن أجيب عن سؤال مهم جداً وهو: لما بدأت هذه الصفحات بالكلام عن إحساسي بـ(جنون) صدام حسين عندما قابلته لأول وآخر مرة أثناء زيارتي للعراق سنة ١٩٨٥!

أؤكد وأقسم أن حديثي عن هذه المقابلة ليس من باب الفخر والتباهي، لأنها زيارة أحزنتني ومقابلة ندمت عليها بقدر ما كنت مشتاقا لها... وأؤكد وأقسم أيضا أنني أذكرها لكي أعرض بسببها فكرة أراها مهمة وأطرح اقتراحا أراه ضرورياً جداً لكل من الحكام والشعوب أيضا... هذا الاقتراح هو:

لماذا لا يلزم القانون وينُص في الدستور بضرورة الكشف الطبي الكامل على أي شخص يرشح للرئاسة أو حتى

يستولى على الرئاسة بالقوة أو بما يسمى بالثورة؟! مع ضرورة الاهتمام بالكشف على كل من قواه العقلية وأحواله النفسية على وجه الخصوص!

وحتى يدرس المسئولون اقتراحى أعلاه، ويقرروا مدى الأخذ به من عدمه، تعالوا ندخل لموضوعنا الرئيسي وهو عن غزو العراق الكويت واحتلالها لها. واسمحوا لى أن أعرض لهذه الحرب (الغزو) بأسلوب غير مألوف وغير إنشائى ومركز ومختصر جداً هو أسلوب **اليوميات**:

١ - فى (١٩٩٠/٧/١٥) - يعنى قبل الجريمة الغادرة بحوالى سبعة عشر يوما فقط - أرسل السيد طارق عزيز وزير خارجية العراق وقتها رسالة للسيد/ الشاذلى القليبى الأمين العام لجامعة الدول العربية أيامها يشكو له فيها من اعتداءات تقوم بها الكويت على أرض العراق، وأنها تقوم أيضا بسرقة ثرواته الكثيرة وأهمها البترول العراقى... وقد بعث أمين عام الجامعة العربية بصورة من رسالة وزير خارجية العراق إلى المسئولين الكويتيين، فأرسل الشيخ/ صباح الأحمد رداً شاملاً نفى فيه اتهامات العراق ورد عليها رداً واضحاً وحاسماً...

٢ - تواصلت الرسائل العراقية ورد الكويت عليها بعد ذلك على نحو غريب، وكأن العراق كان يمهد للغزو الغادر ويشغل أمين عام الجامعة العربية بمشكلة واهية وكاذبة تبرر جريمته التى قام بها بعد أقل من عشرين يوما من إثارة هذه الاتهامات الباطلة...

٣ - اقترح الرئيس المصرى/ محمد حسنى مبارك بالمشاورة والمشاركة مع الملك/ فهد بن عبدالعزيز ملك السعودية ضرورة وسرعة عقد اجتماع مباشر بين كل من العراق والكويت لحل هذه المشكلة تحت مظلة وإشراف جامعة الدول العربية. وقد وافقت الدولتان على عقد هذا الاجتماع، واجتمع وفد العراق برئاسة/ عزة إبراهيم نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى، مع وفد الكويت برئاسة الشيخ/ سعد العبد الله الصباح ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء، وكان اجتماع الوفدين بمدينة (جدة) مساء الثلاثاء (١٩٩٠/٧/٣١).

وفى مساء الأربعاء الموافق الأول من أغسطس ١٩٩٠، أى بعد أقل من (٢٤) ساعة من اجتماع الوفدين توقفت المباحثات بناء على طلب الوفد العراقى بضرورة الرجوع للقيادة

العراقية لإطلاعها على ما وصلت إليه المناقشات ومعرفة قراراتها التالية....

٤ - بعد ساعات قليلة من توقف مباحثات (جدة) بين الوفدين العراقي والكويتي، وبالتحديد: في الساعة الثانية من صباح يوم الخميس الموافق الثاني من أغسطس ١٩٩٠، أعلن عن غزو العراق للأراضي الكويتية...، وأعلن الرئيس العراقي (صدام حسين) أن الكويت جزء لا يتجزأ من العراق، وأن القوات العراقية (١٠٠ ألف جندي) قد دخلت الكويت تلبية لطلبات ونداءات الشعب الكويتي الذي طلب من العراق مساعدته في الإطاحة بالنظام الكويتي الحاكم، وعليه فقد أعلن راديو العراق عزل أمير الكويت الشيخ/ جابر الأحمد الصباح وحل المجلس الوطني الكويتي وتشكيل ما يسمى بـ (حكومة الكويت الحرة) برئاسة العقيد العراقي (علاء حسين علي) مع (٩) قادة عسكريين عراقيين. وظهر بعد ذلك أن (علاء حسين علي) هو صهر الرئيس العراقي!!

٥- بمجرد الإعلان عن جريمة الغزو العراقي الغاشم والغادر للكويت، وإعلان وزارة الدفاع الكويتية رفضها لهذا الغزو ومطالبتها بالانسحاب الفوري للقوات العراقية الغازية،

وتأكيدها على حق الشعب الكويتى المشروع فى الدفاع عن نفسه وعن بلاده ومقاومة هذا العنوان بكل الطرق وكافة الوسائل لطرده من الكويت، توالي صدور البيانات الدولية التى ترفض العدوان العراقى الآثم وتدينه وتطالب بانسحاب القوات العراقية كلها من الأراضى الكويتية الحرة فوراً ودون أية شروط:

أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٦٦٠ بتاريخ (١٩٩٠/٨/٢) وفى نفس اليوم الأول للغزو يدين فيه العراق ويدعوه لسحب قواته فوراً من الكويت دون قيد أو شرط مع عودة الحكومة الشرعية للكويت...

الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا واليابان، قررت تجميد الودائع العراقية والكويتية لديها جميعا مع إدانة الغزو العراقى ومطالبة الرئيس العراقى بانسحاب القوات العراقية كلها من الكويت فوراً ودون قيد أو شرط، لكن من يسمع ومن يستجيب؟!

٦ - الرئيس (حسنى مبارك) يجرى اتصالات هاتفية سريعة ومهمة مع كل من أمير الكويت وخادم الحرمين الشريفين ورؤساء كل من اليمن وسوريا وعاهل الأردن

والرئيس العراقى فى محاولة عربية مخلصة لاحتواء الأزمة وحل المشكلة...

وهنا نحب ويجب أن نذكر أن الرئيس السابق حسنى مبارك قد وجه أكثر من عشرين نداء وتحذيراً للرئيس/ صدام حسين طالبا منه وناصحاً إياه بضرورة إعادة التفكير وإعمال الضمير وضرورة الانسحاب فى أسرع وقت ممكن من دولة الكويت وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل الغزو الغاشم والغادر وقبل الاحتلال الوحشى وغير المبرر.. ولكن - وأيضا - من يفهم ومن يلبى؟!

ومن وراء (مبارك) ومعه، راحت الدول كلها تقريباً تنصح (صدام) وترجوه أن يتخلى عن أطماعه ويتراجع عن أوهامه ويسحب قواته من الكويت، لكن ولسبب نفسى - مرض يعرفه علماء النفس طبعا - كلما زادت نصائح ونداءات ملوك ورؤساء الدول لـ(صدام) لسحب جيوشه من الكويت، كلما زاد الصلف والعناد والإحساس بالعظمة والشعور بالقوة داخل (صدام).... وهكذا ذهبت النصائح كلها ونداءات العقلاء جميعها أدراج الرياح... هذه الرياح نفسها التى كانت آتية من بعيد بما لا تشتهيه سفن (صدام)!

٧ – وتوالت التحركات والجهود الدبلوماسية والسياسية المكثفة والسريعة والمخلصة، حتى أن مجلس الأمن الدولى وحده أصدر ثلاثة عشر قراراً منذ بداية الأزمة فى (١٩٩٠/٨/٢) وحتى (١٩٩١/٣/٢)، ونقدم فيما يلى موجزاً لأهم هذه القرارات:

• أهم قرارات مجلس الأمن الدولى

مسلسل	رقم القرار	تاريخه	أهم ما فيه
١	٦٦٠	١٩٩٠/٨/٢	إدانة الغزو والمطالبة بانسحاب القوات العراقية دون شروط... موافقة ١٤ ورفض ١ وامتناع اليمن
٢	٦٦١	١٩٩٠/٨/٦	فرض الحظر المالى والتجارى على العراق - تشكيل لجنة خاصة لمتابعة تنفيذ العقوبات - المطالبة بحماية حقوق وممتلكات الكويت. موافقة ١٣ وامتناع كوبا واليمن
٣	٦٦٢	١٩٩٠/٨/٩	اعتبار ضم العراق للكويت لاغياً وكأنه لم يكن - موافقة بالإجماع

أهم ما فيه	تاريخه	رقم القرار	مسلسل
المطالبة بالإفراج فوراً عن الأجانب المحتجزين فى الكويت والعراق- التشديد والإصرار على قيام العراق بإلغاء أوامره بإغلاق السفارات المختلفة فى الكويت - موافقة بالإجماع...	١٩٩٠/٨/١٨	٦٦٤	٤
مناشدة أعضاء مجلس الأمن والأمم المتحدة بضرورة التعاون مع الكويت فى تنفيذ العقوبات على العراق... موافقة ١٣ وامتناع كوبا واليمن..	١٩٩٠/٨/٢٥	٦٦٥	٥
إعادة التأكيد على مسئولية العراق عن سلامة الأجانب فى كل من الكويت والعراق، وتحديد خطوط إرسال الطعام والإمدادات الطبية للبلدين. موافقة ١٣ وامتناع كوبا واليمن...	١٩٩٠/٩/١٣	٦٦٦	٦

أهم ما فيه	تاريخه	رقم القرار	مسلسل
إدانة العدوان العراقي على الأجانب والمطالبة بالإفراج عنهم فوراً... موافقة بالإجماع...	١٩٩٠/٩/١٦	٦٦٧	٧
التأكيد على أن لجنة العقوبات الخاصة لها وحدها التصريح بشحنات الطعام والمساعدات للكويت والعراق... موافقة بالإجماع...	١٩٩٠/٩/٢٤	٦٦٩	٨
توسيع الحظر ليشمل النقل الجوي – مطالبة أعضاء الأمم المتحدة بحجز السفن العراقية المخالفة للحظر – موافقة ١٤ ومعارضة كوبا.	١٩٩٠/٩/٢٥	٦٧٠	٩
مطالبة العراق بوقف سوء معاملة الأجانب والكويتيين – وتحذير العراق بتعرضه للدمار موافقة ١٢ وامتناع كوبا واليمن	١٩٩٠/١٠/٢٩	٦٧٤	١٠

مسلسل	رقم القرار	تاريخه	أهم ما فيه
١١	٦٧٧	١٩٩٠/١١/٢٨	إدانة محاولة العراق لتغيير التركيب السكانى فى الكويت وتدميره للسجلات المدنية. موافقة بالإجماع...
١٢	٦٧٨	١٩٩٠/١١/٢٩	تفويض أعضاء الأمم المتحدة باستعمال كل الوسائل اللازمة لتنفيذ القرارات كلها إذا لم يغادر العراق الكويت قبل (١٩٩١/١/١٥). موافقة ١٢ ورفض كوبا واليمن وامتناع الصين.
١٣	٦٨٦	١٩٩١/٣/٢	مطالبة العراق بإيقاف كل أعمال العدوان، وإعادة أسرى الحرب وجميع المحجوزين لدى القوات العراقية من الكويتيين و الأجانب، وإلغاء ضم الكويت للعراق، والموافقة على دفع كل التعويضات، وإعادة كل ما نهبه من الممتلكات الكويتية، والإرشاد عن مواقع الألغام التى زرعها.. موافقة ١١، رفض كوبا، امتناع الهند والصين واليمن

●● وأخيراً أصدر مجلس الأمن الدولي قراره رقم (٦٨٧) بتاريخ (١٩٩١/٤/٥) والذي جاءت به التوصيات والقرارات التالية:

(١) – التأكيد على أهمية القرارات السابقة كلها ويصر على ضرورة تنفيذها، باستثناء ما يصدر بتغييره نص صريح فيما يلي لتحقيق أهداف تنفيذ هذا القرار (٦٨٧) بما في ذلك وقف إطلاق النار.

(٢) – المطالبة باحترام العراق والكويت لحرمة الحدود الدولية ووضع الجزر كما هو محدد في محضر الاتفاق بين الكويت والعراق والذي وقعا عليه في بغداد بتاريخ (١٩٦٣/١٠/٤) وتم تسجيله ونشره في حينه بواسطة الأمم المتحدة بالوثيقة رقم ٧٠٦٣ سلسلة الأمم المتحدة للمعاهدات ١٩٦٤.

(٣) – دعوة الأمين العام للأمم المتحدة للمساعدة على الآتي:

أ – رسم الحدود بين العراق والكويت بحسب وثيقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن رقم (س/٢٢٤١٣) والخرائط المرفقة به، ويرفع تقريره خلال شهر.

ب - يضمن حرمة الحدود المتفق عليها ويتخذ إجراءات تنفيذها .

ج - يقدم خطة موافق عليها كل من العراق والكويت لنشر وحدة مراقبين دوليين تابعين للأمم المتحدة لمراقبة المنطقة منزوعة السلاح والتى تقرر إقامتها بين العراق والكويت لمسافة (١٠) كم داخل العراق و(٥) كم داخل الكويت بداية من الحدود المتفق عليها والمرسومة بينهما طبقا لما جاء فى محضر الاتفاق بينهما لاستعادة العلاقات الودية والاعتراف والمسائل المذكورة فى ذلك القرار الموقع منهما بتاريخ (١٩٦٣/١٠/٤) فى بغداد والمسجل فى الأمم المتحدة . والمنشور برقم (١٩٦٤/٧٠٦٣) . ويقوم هؤلاء المراقبون بمنع وردع أية انتهاكات قد تقوم بها إحدى الدولتين ومراقبة وملاحظة وتسجيل أية أعمال عدائية أو غير قانونية قد تنطلق من إحدى الدولتين ضد الدولة الأخرى. وعلى الأمين العام للأمم المتحدة أن يرفع تقريرا منتظما ومستمرا إلى مجلس الأمن بشأن عمليات وحدة المراقبة هذه، مع إبلاغه لمجلس الأمن فورا عن أية انتهاكات خطيرة تهدد المنطقة والسلام العالمى ..

(٤) - بمجرد إتمام انتشار وحدة المراقبين الدوليين التابعين للأمم المتحدة في المنطقة المنزوعة السلاح بين الدولتين، فإن على الدول الأعضاء المتعاونة والمشتركة في إجلاء القوات العراقية المعتدية عن الكويت أن تضع حدا لوجودها العسكري في المنطقة بما يتفق مع ما جاء بالقرار ٦٨٦ لعام ١٩٩١ .

(٥) -يدعو العراق للتأكيد على التزاماته لبروتوكول جنيف بشأن حظر استخدامات الغازات السامة أو الخانقة أو غيرها من الغازات أو من وسائل الحرب البكتريولوجية المختلفة، والموقع عليه في جنيف بتاريخ (١٩٢٥/٦/١٧) مع ضرورة إعادة توقيعه وتصديقه على معاهدة حظر إنتاج أو تخزين أو تطويرالأسلحة البكتريولوجية والبيولوجية وتدميرها فورا طبقا لهذه الاتفاقية الموقع عليها بتاريخ (١٩٧٣/٤/١٠).

(٦) - على العراق أن يقبل ويقوم فورا ودون أي شرط بإزالة وتدمير كل ما يملكه أو يخبئه من : كافة الأسلحة البيولوجية والكيماوية وكل ما لديه أيضا من المواد والعناصر والأدوات والأجهزة اللازمة أو المساعدة على إنتاجها، وكذلك

التخلص من وتدمير المكونات والأنظمة والمنشآت اللازمة لإنتاج وتطوير ودعم هذه الأسلحة، مع ضرورة وسرعة تدمير كافة الصواريخ التى يزيد مداها عن (١٥٠)كم مع الأجزاء الرئيسية لها وجميع منشآت إنتاجها وصيانتها .

ومن أجل تنفيذ كل ما سبق يقرر مجلس الأمن ما يلى :

أ - أن يقدم العراق للأمين العام للأمم المتحدة خلال (١٥) يوما من صدور القرار بيانا تفصيليا كاملا وواضحا بمواقع وأنواع وكميات جميع الأسلحة المذكورة ويوافق دون شروط على التفتيش المفاجىء والمتكرر على كل المواقع التى سيذكرها أو لن يذكرها فى بيانه المطلوب.

ب - أن يضع الأمين العام بالتشاور مع الحكومات والمنظمات التى يراها مساعدة له وفى خلال (٤٥) يوما من صدور هذا القرار الخطة الملائمة لإتمام وتنفيذ ما يلى:

١ - إنشاء لجنة خاصة تقوم فورا بالتفتيش على الطبيعة على كل إمكانات العراق البيولوجية والكيماوية والصاروخية على أساس ما سيرد فى البيان المطلوب منه مع تحديد الإمكانيات الأخرى التى قد تكتشفها اللجنة بنفسها والتى قد لا تكون مذكورة فى بيان العراق.

٢ – أن يسلم العراق للجنة ما بحوزته من جميع الأسلحة والمواد المذكورة، وأيضا ما تطلبه اللجنة من أشياء إضافية وغير محددة أو مذكورة فى هذا القرار، لتدميرها وإزالتها ونزع ضررها مع الأخذ فى الاعتبار توفير كل متطلبات الأمن والسلامة، وأن يدمر العراق تحت إشراف اللجنة جميع إمكاناته الصاروخية بما فيها منصبات الإطلاق أيضا ..

(٧) – على العراق أن يلتزم وبدون شروط بعدم محاولة استعادة إنتاج أو شراء أى من الأسلحة والأجهزة والأشياء السابق ذكرها، وعلى الأمين العام أن يضع مع اللجنة الخاصة خطة وأسلوب المراقبة التى تضمن تنفيذ العراق لهذا القرار وضمان التحقق مستقبلا وباستمرار من التزام العراق بهذه الفقرة، على أن ترفع الخطة المطلوبة إلى المجلس لإقرارها والموافقة عليها خلال (١٣٠) يوما من هذا القرار.

(٨) – على العراق أن يؤكد من جديد وبكل وضوح وبدون أية شروط التزامه بكل بنود معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية والصادرة بتاريخ (الأول من يوليو/ تموز ١٩٦٨) مع تكرار وتأكيد موافقته بغير شروط على ألا يمتلك أو يشترى أو يطور أية أسلحة نووية أو أية مواد أو أنظمة

أو مواد ومكونات أو منشآت بحوث أو إنتاج أو دعم وتطوير تتصل بطريقة أو بأخرى بالأسلحة النووية .. وعلى العراق أن يقدم إلى الأمين العام للأمم المتحدة وإلى مدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية بيانا شاملا وواضحا، بمواقع وكميات وأنواع جميع الأشياء المذكورة فى خلال (١٥) يوما من صدور هذا القرار. وأن يضع العراق كل ما لديه من منشآت أو من مواد صالحة للاستخدام كأسلحة نووية تحت السيطرة الكاملة والمنفردة للوكالة الدولية للطاقة الذرية بهدف التحفظ عليها والتخلص منها. وعلى العراق أن يقبل وبدون شروط التفتيش المتكرر والمفاجىء والدائم وعلى الطبيعة على إمكاناته وممتلكاته النووية، ويقبل أيضا تدمير وإزالة ونزع الضرر أيها أنسب لكافة الأشياء المذكورة، والتزامه بتنفيذ الخطة التى يضعها الأمين العام ومدير عام الوكالة الدولية للطاقة الذرية، والتى سيتم تنفيذها بواسطة لجنة التفتيش والمراقبة.

(٩) - يطلب من العراق وتحت إشراف الأمين العام للأمم المتحدة تسهيل وسرعة إعادة كل الممتلكات الكويتية التى استولى عليها العراق، بما فى ذلك أية قائمة تقدمها الكويت وتذكر فيها أية ممتلكات تقول إن العراق لم يعدها إليها

أو أعادها غير سليمة. ويؤكد مجلس الأمن وبدون الاخلال بديون والتزامات العراق المطلوبة منها قبل بداية الغزو فى (١٩٩٠/٨/٢) أن العراق مسئول مسئولية كاملة ومباشرة وطبقا للقانون الدولى عن أية خسائر أو أضرار (بما فى ذلك الخسائر والأضرار البيئية، واستنزاف أو تخريب أو تدمير الموارد الطبيعية، أو الأضرار التى أصابت حكومات أو مؤسسات أو رعايا أجنبية كانت بالكويت) نتيجة للغزو والاحتلال العراقى الغاشم وغير الشرعى للكويت.. كما يقرر المجلس أن كافة البيانات العراقية التى أعلن فيها العراق تنصله من ديونه الخارجية باطلة وكأنها لم تكن، ويطلب من العراق أن يلتزم بالدقة والأمانة بكافة التزاماته وديونه الخارجية كلها وفى مواعيدها المقررة والمتفق عليها مسبقا .

(١٠) – يقرر المجلس أنه طبقا للقرار ٦٦١ لعام ١٩٩٠ والقرارات المتصلة به واللاحقة عليه ولحين اتخاذ قرار آخر من المجلس فإن كافة الدول ستستمر فى منع بيع أو تزويد العراق أو تسهيل هذا البيع أو التزويد من أراضيها أو من رعاياها أو باستخدام سفن أو طائرات تحمل أعلامها بما يلى: (الأسلحة والمواد المتصلة بها – المواد السابق ذكر

حظرها - التكنولوجيا - الأفراد من الخبراء والفنيين) وتلتزم كل الدول بهذا الحظر بصرف النظر عن وجود عقود أو اتفاقات أو ترتيبات أخرى. وعلى الأمين العام بالتشاور مع الدول المعنية أن يضع خلال (٦٠) يوما الارشادات والخطوات والإجراءات الضرورية واللازمة لتسهيل التطبيق الدولى الكامل لكل ما جاء بهذا القرار، ويدعو المجلس كافة الدول والهيئات والمنظمات للالتزام بهذا القرار مع اتخاذ كافة الخطوات المناسبة المساعدة فى ضمان تنفيذه والتأكد من انصياع العراق الكامل لهذا القرار وغيره من قرارات المجلس.

(١١) - يقرر المجلس أن على العراق ومع التزامه الكامل بتسهيل عودة الكويتيين ورعايا الدول لأوطانهم، سيقوم بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتقديم قوائم كاملة بأسماء كل الكويتيين ورعايا الدول الأخرى أينما كانوا موجودين أومعتقلين لديه، مع تسهيل مهمة اللجنة الدولية للصليب الأحمر فى البحث عنهم، ويدعو المجلس اللجنة الدولية للصليب الأحمر باطلاع الأمين العام للأمم المتحدة باستمرار وبقدر الإمكان على كل الأعمال والأنشطة

التى يقوم بها الصليب الأحمر لتسهيل العثور على كل الكويتيين أو غيرهم من الذين كانوا فى الكويت واعتقلتهم القوات العراقية فى يوم الثانى من شهر أغسطس سنة ١٩٩٠ أو ما بعد هذا التاريخ.

(١٢) - يطالب المجلس العراق بأن يعلن ويبلغ المجلس بأنه لن يرتكب أو يساند أية أعمال إرهابية، ولن يسمح لأية منظمة أن تقوم بترتيب القيام بالأعمال الإرهابية الدولية من أراضيه، وأن يعلن إدانته لكافة الأعمال والممارسات الإرهابية فى العالم بكل صراحة وحزم ووضوح ..

(١٣) - يعلن مجلس الأمن أنه عند إخطار العراق رسميا للأمين العام ولمجلس الأمن بقبوله لكل ما جاء بهذا القرار من شروط وبنود (٣٤ شرطا وبندا بالإضافة إلى فروعها وإضافاتها التوضيحية) فإن وقفا رسميا لإطلاق النار يصبح ساريا بين العراق من جهة وبين الكويت والدول الأعضاء المتعاونة والمتحالفة مع الكويت من جهة ثانية طبقا للقرار ٦٧٨/١٩٩٠ .

(١٤) - يقرر مجلس الأمن أن يظل متابعا للمسألة (العراقية / الكويتية) لمتابعة تنفيذ هذا القرار، ولاتخاذ أية

قرارات أو إجراءات وخطوات أخرى قد تكون ضرورية ولازمة لتنفيذ هذا القرار والقرارات السابقة عليه لإحلال السلام وتحقيق الاستقرار بالمنطقة .

ولعل القارىء اللبيب يعجب من ذكرى لكل وأهم بنود القرار رقم (٦٨٧) الذى أصدره مجلس الأمن الدولى بتاريخ (١٩٩١/٤/٥)، ولكن يزول العجب إذا عرف السبب - أو قل هنا عرفت الأسباب - وهذه الأسباب التى دعتنى لتلخيص وعرض بنود قرار مجلس الأمن رقم (٦٨٧) هى :

أ - أن هذا القرار كان قرار وقف إطلاق النار وإنهاء غزو العراق للأراضى الكويتية الحرة من ناحية، وإنهاء الضربات الموجعة الموجهة من الجيش الكويتى والجيوش العربية والأجنبية المتعاونة والمتحالفة معه لطرد المحتل العراقى من ناحية أخرى.

ب - بيان وتوضيح أهم بنود هذا القرار، والذى اشترط مجلس الأمن موافقة العراق عليها وقبولها لها والتزامها بها لإمكان إعلان الوقف الرسمى لإطلاق النار.

ج - بيان وتوضيح مدى التزام العراق بتنفيذ بنود هذا القرار تنفيذا فعليا وصادقا وعملياً وخصوصا فى البنود التى

تتعلق بشراء وإنتاج هذه الأسلحة المحظورة، وأيضا التى تتصل بالأسرى الكويتيين وغير الكويتيين الذين اعتقلتهم وأخفتهم القوات العراقية ولم تعدهم حتى اليوم!!

وهذه البنود وغيرها من بنود قرار مجلس الأمن (١٩٩١/٦٨٧) هى التى كانت السبب المباشر والرئيسى لحرب (أمريكا/ العراق) سنة ٢٠٠٣م.

وكما سنرى فيما بعد وعند حديثنا عن هذه الحرب المهزلة!!

ونعود الآن لمتابعة **يوميات وأحداث غزو وتحرير الكويت** : .

٨ - مع تواصل الجهود الدبلوماسية واستمرار فشلها، بدأ المجتمع الدولى فى التلويح لـ (صدام حسين) بالحرب .. وبدلا من إعمال الرئيس العراقى للعقل والضمير ، فقد استخدم مواهبه فى العناد والتكبر ورفض كل نداءات السلام التى وجهت إليه من الرئيس/ مبارك وكل رؤساء وملوك الدول الأخرى، فقرر : تجميد سداد الديون الواجبة على العراق لأمريكا وكل الدول المؤيدة لها، إصدار الأوامر لقواته بالزحف إلى المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية حتى أصبحت على بعد ميل واحد فقط من الأراضى السعودية، نقل سكان

بغداد (٤ ملايين نسمة) للعيش فى خيام خارج العاصمة، تشكيل حكومة جديدة للكويت من بعض أبناء العراق، إعلان العراق ضم الكويت إليه رسميا، إعلان (صدام) أن حربه مع الكويت هى حرب مقدسة لوضع الثروات العربية لخدمة الأهداف النبيلة، رفض السماح للرعايا الأجانب بمغادرة العراق أو الكويت لاستخدامهم كرهائن ودروع بشرية عند تعرضه لعمل عسكرى، إعلان مندوب العراق فى الأمم المتحدة عن استعداد بلاده لاستخدام الأسلحة الكيماوية والنووية ضد من يفكرون في الاعتداء على العراق، إعلان إلغاء السفارات الأجنبية بالكويت اكتفاء بسفاراتها فى العراق بعد إعلان الوحدة الاندماجية بين العراق والكويت للأبد، (صدام) يعلن عزمه على إعلان الجهاد لتحرير الأماكن الإسلامية المقدسة فى السعودية!! رفض قرارات القمة العربية واتهام الزعماء العرب بالخيانة!!

٩ - ابتداء من يوم الثلاثاء الموافق السابع من أغسطس ١٩٩٠ بدأ الإعلان عن إرسال قوات أمريكية إلى السعودية للدفاع عنها ضد العراق بحسب طلبها، وبعدها - وبناء على طلب المملكة السعودية ودول الخليج الأخرى -

توالى ارسال وحشد القوات الأمريكية والبريطانية فى السعودية ومنطقة الخليج ... وقد بلغ الحجم الإجمالى الذى قررت دول كثيرة إرساله إلى السعودية لكى تحميها وتساعدها ضد أى عدوان عراقى محتمل إلى أكثر من : ١٢٥ ألف جندى، ٥٠٠ طائرة ، ٧٠ سفينة حربية متنوعة ، بالإضافة إلى القوات العربية والإسلامية التى أرسلتها مصر وسوريا والمغرب وباكستان وبنجلاديش ... وقد أصبح النزاع بين العراق وبين (٢٢) دولة من دول العالم الرافضة كلها لغزو الكويت .

١٠ - فى يوم الخميس الموافق (١٩٩٠/٨/٢٣) وافقت الدول الخمس الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن على إمكان استخدام القوة العسكرية لفرض أية عقوبات اقتصادية قررها المجلس ضد العراق ...

وفى يوم السبت الموافق (١٩٩٠/٨/٢٥) وافق مجلس الأمن على القرار رقم (١٩٩٠/٦٦٥) باستخدام الإجراءات المناسبة واللازمة وفقا للظروف لتنفيذ العقوبات الاقتصادية التى أقرها المجلس ضد العراق لإرغامه على الانسحاب من الكويت (يعنى ذلك استخدام القوة العسكرية) ...

وفى يوم السبت (١٩٩٠/٨/٢٥) أيضا بدأ أكبر حصار بحرى فى التاريخ اشتركت فيه وحدات من أساطيل (١٢) دولة بما فيها أمريكا والاتحاد السوفييتى لمحاصرة السواحل العراقية والكويتية بقرار من مجلس الأمن ...

فى يوم الاثنين (١٩٩٠/٩/٣) عبرت قناة السويس إلى منطقة الخليج ست سفن أمريكية وفرنسية حاملة آلاف الأطنان من المعدات العسكرية .

فى يوم الخميس (١٩٩٠/٩/٦) القوات الأمريكية تدعم نفسها بصواريخ باتريوت المضادة للصواريخ ، والبارجة الأمريكية (ديسكونس) تدخل الخدمة بمنطقة الخليج بمدافعها العملاقة التى تطلق قذيفة وزنها (١٢١٥) كجم لمسافة ٣٧كم .

الأربعاء (١٩٩٠/٩/١٩) وزارة الدفاع الأمريكية تعلن أن القوات العراقية فى الكويت وعلى حدود السعودية وصلت إلى (٣٦٠) ألف جندى ، ٢٨٠٠ دبابة ، (١٨٠٠) مصفحة، (١٥٤٠) مدفعا ثقيلا بالإضافة لآلاف المدافع المتوسطة .. الأربعاء (١٩٩٠/١١/٢٨) أعلن المسئولون أن حجم القوات العراقية قد أصبح (٤٥٠) ألف جندى ، (٣٦) ألف دبابة ،

(٢٤٠٠) مدفع عملاق ، (٢٢٠٠) مصفحة . بينما وصل عدد قوات التحالف لأكثر من (٧٥٠) ألف جندى .

الاثنين (٣١/١٢/١٩٩٠) وفى آخر أيام سنة ١٩٩٠ بدأت قوات التحالف فى إنشاء وإعداد معسكرات اعتقال تتسع لأكثر من (٢٥٠) ألف أسير ... الأحد (١٣/١/١٩٩١) وصل (بيرز دى كويار) الأمين العام للأمم المتحدة إلى بغداد لبذل محاولة أخيرة لإقناع (صدام) بالانسحاب من الكويت لتجنب ويلات الحرب الصعبة قبل انتهاء المهلة المعطاة له فى (١٥/١/١٩٩١) . ولكن عناد وغرور وجنون (صدام) أفشلوا هذه المهمة الأخيرة للسلام ...

** حرب تحرير الكويت ...

فى الساعة الثالثة من صباح يوم الخميس الموافق (١٧ يناير ١٩٩١)، أو السابعة مساءً بتوقيت واشنطن بدأت قوات التحالف عملياتها الحربية الكبرى لتحرير الكويت الحرة من الاحتلال العراقى الغاشم ...

١ - بدأت الحرب بهجوم جوى مكون من ثلاث موجات واشتركت فيه ألف وثمانمائة طائرة أمريكية وبريطانية ، وراحت هذه الطائرات تقصف بغداد بمتوسط (قنبلة واحدة)

كل دقيقتين . وفي طلعتها الأولى قصفت ودمرت : المنشآت والمزاكز العسكرية ومراكز القيادة والسيطرة والمرافق العامة والكبارى والجسور ومحطات المياه والكهرباء لإصابة الحياة العسكرية والمدنية الراقية بالشلل التام . وأطلق على خطة الهجوم هذه اسم (عاصفة الصحراء) ... وأعلن كل من (ديك تشيني) وزير الدفاع الأمريكي و(الجنرال / نورمان شوارتزكوف) قائد القوات المتحالفة أن هذه الطلعات الجوية الأولى دمرت (٧٠٠) طائرة عراقية على الأرض ، وألقت (١٨) ألف طن من المتفجرات على المنشآت العسكرية العراقية في كل العراق فدمرت معظم المواقع الاستراتيجية المهمة ومخازن ومستودعات الأسلحة والذخيرة العراقية . وكان رد العراق ضعيفا وسيئا عندما قام بإطلاق خمسة صواريخ (سكود) على الظهران وتل أبيب مما جعل المقاتلات القاذفة تنطلق لتدمير المنصات الثابتة والمتحركة لإطلاق هذه الصواريخ .. وكانت أوامر هذه المرحلة تمنع الاشتباكات البرية ...

٢ – حققت الموجات الأولى من الطلعات الجوية (١٣٠٠) طلعة تدمير أكثر من مائة قاعدة عسكرية ومبنى وزارة الدفاع ومبنى الإذاعة والتليفزيون ومقر اقامة حاكم بغداد ، بالإضافة للفرار الجماعى للجنود العراقيين بأسلحتهم ودباباتهم (٥٠٠ دبابة) وتسليم أنفسهم لقوات التحالف ...

وواصلت طائرات التحالف طلعاتها ضد العراق بمعدل (٢٠٠٠) طلعة يومياً ...

٣ - في اليوم الرابع للحرب (الاثنين ١٩٩١/١/٢١) طورت قوات التحالف هجومها البرى على القوات العراقية بالتقدم نحو الكويت . وفى نفس هذا اليوم أطلق العراق (١٠) صواريخ سكود على الرياض والظهران ولكن تم تدميرها فى الجو بواسطة صواريخ باتريوت . وبينما التدمير الشامل والشديد مستمر على كل العراق ، فإن (صدام) يعلن أنه سيقضى على قوات التحالف (٢٦ دولة)!! وأن الجيش العراقى سيحرر فلسطين والجولان ولبنان والكعبة بعد نهاية هذه الحرب!!

٤ - فى محاولة للتظاهر بالقوة قامت القوات العراقية بنسف وتدمير المنشآت البترولية الكويتية بإشعال الحرائق فى آبار ومصانع البترول . وفى نفس هذا اليوم (الأربعاء ١٩٩١/١/٢٣) أعلن أن عدد ضحايا الأيام الأربعة الأولى من الحرب قد تعدى المائة ألف قتيل وجريح من القوات العراقية وحدها ... وفى يوم الجمعة (١٩٩١/١/١٥) أعلن عن تحرير جزيرة قاروه من القوات العراقية .

٥ - أعلنت قيادة قوات التحالف أن الهجمات الجوية المكثفة (٣٠٠٠) طلعة فى اليوم الواحد تستهدف (تليين وتنعيم وتخفيف) التحصينات والدفاعات العراقية فى الكويت وجنوب العراق والتى قوامها (١٥٠) ألف جندى مزودة بالدبابات والصواريخ ، وذلك حتى تقل خسائر الأرواح جداً عند شن الهجوم البرى ... وأعلن الجنرال (شوارزكوف) أن حرب الكويت كان يمكن إنهاؤها فى يومين اثنين فقط لولا مراعاة قوات التحالف لسلامة المدنيين والمنشآت المدنية ... بينما حاول العراق (جر رجل) إسرائيل للاشتراك فى الحرب بإطلاق عدد من صواريخ سكود على كل من تل أبيب وحيفا ، وقد تم تدمير بعضها فى الجو ولكن بعضها الآخر قتل شخصا واحداً وأصاب (٤٠) آخرين بجراح . وقد أعلن (حاييم هرتزج) رئيس إسرائيل أن الهجمات الصاروخية العراقية على إسرائيل فى صالحها لأنها ستجعل لها صوتا عاليا عند تسوية أوضاع المنطقة بعد انتهاء حرب الخليج!! وتعليقا على ذلك وصف الرئيس (مبارك) ضرب العراق لإسرائيل بأنها (فرقعة) لتوريط مصر وسوريا والأردن فى حرب جديدة مع إسرائيل ، وتساءل الرئيس (مبارك) : هل يريد (صدام) أن يشعل الدنيا ناراً ؟! فإسرائيل موجودة منذ

عام ١٩٤٨ ، فأين كان صدام ؟! وماذا فعل على مدى أكثر من (٤٠) سنة من وجود إسرائيل ؟!!!

٦ - فى اليوم السابع لحرب تحرير الكويت (الخميس ١٩٩١/١/٢٤) أعلن (كولن باول) رئيس هيئة الأركان الأمريكية أن القوات الجوية للتحالف دمرت مفاعلين نوويين عراقيين تدميراً كاملاً ، بالإضافة إلى (٦٦) مطاراً حربيا ، وأن القصف الجوى يركز الآن على منصات إطلاق الصواريخ ومنشآت ومواقع الأسلحة البيولوجية والكيماوية والمراكز القيادية العراقية فى البصرة ...

٧ - فى اليوم التاسع لحرب تحرير الكويت (السبت ١٩٩١/١/٢٦) دخلت الحرب مرحلة خطيرة من التدمير الشامل للبيئة والمواد الطبيعية فى المنطقة كلها ، وذلك عندما قام العراق بإشعال النار فى حقول وآبار ومصانع البترول الكويتية من جهة ، ثم قام أيضا بضخ كميات هائلة من البترول فى مياه الخليج من محطة الضخ بميناء الأحمدى الكويتى ، وبلغ طول بقعة البترول هذه إلى (١٦) كم وعرضها إلى (٣) كم ، وزاد الطين بلة اشتعال هذه البقعة البترولية الضخمة بالنيران مما يهدد المنطقة كلها بكارثة بيئية

مروعة!! وهذا العمل وحده دليل دامغ وواضح على جنون وهمجية (صدام) !!

٨ - ابتداء من اليوم الحادى عشر لحرب تحرير الكويت (الاثنين ١٩٩١/١/٢٨) ، تحول القصف الجوى لطائرات التحالف من ضرب المواقع والمنشآت إلى قصف القوات العراقية ، وكان هذا مؤشراً لقرب بدء الهجوم البري الوشيك لتحرير الكويت وطرد العراقيين منها ... وبدأت هذه الحرب البرية فعلا فى اليوم الرابع عشر من بداية الحرب (١٩٩١/١/٣١) عندما هاجمت القوات العراقية البرية والمدعومة بالدبابات والمدرعات مدينة الخفجى السعودية والتى أخليت من سكانها فى وقت سابق ، وبعدها تمكنت قوات مشاة البحرية الأمريكية مع قوات أخرى من تطويق القوات العراقية التى تعرضت لقصف مكثف من الطائرات المختلفة لقوات التحالف ...

٩ - وأخيراً ، اسندفعت قوات التحالف إلي الكويت عبر خمسة محاور بينما دخلت قوات أخرى إلى جنوب العراق لتطويق القوات العراقية ومنعها من الهرب ، كما صاحب ذلك الهجوم البرى الشامل عمليات إنزال بحرى وجوى فى كل

الكويت.. وبدأ هذا الهجوم البرى الكبير والذى شارك فيه أكثر من نصف مليون جندى فى يوم الاثنين (١٩٩١/٢/٢٥) فى العيد الوطنى الثلاثين للكويت ...

وفى اليوم الأربعاء (٢/٢٧/ ١٩٩١) وبينما كان (صدام) يلقى خطابا يعلن فيه انسحاب العراق من الكويت ، دوت صفارات الإنذار بحدوث غارات على بغداد !!

وفى يوم الجمعة (أول مارس ١٩٩١) أعلن الحلفاء وقف إطلاق النار بعد أن أعلن العراق قبوله لجميع قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالأزمة ، وبعد أن تم تحرير الكويت كلها، وبعد أن تم تدمير الجيش العراقى والقدرة العسكرية العراقية كلها تقريبا وتم أسر أكثر من (مائة ألف) أسير عراقى ... وهكذا تحررت الكويت وانتهت أغرب وأسوأ عملية قرصنة فى التاريخ ...

★ وأسرى الكويت، قضية الإنسانية كلها!!

تبدأ كل حرب وتنتهى وقد خلفت وراءها الكثير من الدمار. والأسى والآلام والأحزان ، ليس فى صفوف المهزوم فقط بل وفى صفوف المنتصر أيضا .. وبصرف النظر عن الخسائر المادية التافهة مهما كانت قيمتها لأنها يمكن تعويضها أو استردادها بطريقة أو بأخرى ، لكن هذه الخسائر البشرية

الكبيرة والغالية مهما كان صغرها فإنها لايمكن أبداً تعويضها أو حتى نسيانها ... ونقصد بالخسائر البشرية هؤلاء الشهداء الذين قدموا حياتهم كلها فداء وطنهم، أو هؤلاء الأسرى الذين قد يكونون أفلتوا من الموت ولكنهم لم يفلتوا من الأسر والمهانة ...

وأما الشهداء فلا يمثلون مشكلة لأنهم أحياء عند ربهم يرزقون ... ونقدم هنا البيان الذى أعلنته وزارة الإعلام الكويتية ومكتب الشهيد :

الجنس	الجنسية / العمل	كويتى	سعودى	عراقى	أردنى	إيرانى	مصرى	هندى	بحرينى	سورى	عمانى	لبنانى	أخرى	غير محدد	المجموع
ذكور	مدنى	١٨٢	٣	٢	٦	٥	١	١	١	٣	١	١	٦	٢٠	٢٣٢
	عسكرى	١٢٧	٥	١	٣	–	٢	–	–	–	–	–	٤	١٠٤	٢٤٦
إناث	مدنى	٦٣	–	–	١	–	١	١	٢	–	–	–	٢	٨	٧٨
	عسكرى	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
	المجموع	٣٧٢	٨	٣	١٠	٥	[illegible]	[illegible]	٣	٣	١	١	١٢	١٣٢	٥٥٦

أما عن (أسرى الكويت) فحكايتهم حكاية غريبة حقا ، فالعراق ينكر أنهم موجودون عنده ، والكويت تؤكد أن عددهم هو (٦٢٥) أسيراً وهذا العدد قد يبدو صغيرا جداً ، ولكنه

بالنسبة لعدد سكان الكويت فإنه كبير جدا. فعدد سكان الكويت عام ١٩٩١ حوالى (٦٠٠ ألف) نسمة، وبذلك تكون نسبة الأسرى إلى السكان هى (٦٢٥/٦٠٠ ألف =٨,٩٪) وهذه النسبة نفسها فى دولة أخرى مثل مصر تساوى (ستة ملايين) نسمة تقريبا، وهى فى بلد مثل الولايات المتحدة الأمريكية تساوى (عشرين مليون) نسمة، فهل تسكت الولايات المتحدة الأمريكية إذا فقد من سكانها عشرون مليون شخص؟! وهكذا لايمكن للكويت أن تسكت على فقد واختفاء (٦٢٥) شخصا أخذوا وخطفوا من على أرضها، بل ولا يمكن للكويت ولا لأية دولة فى العالم أن تسكت على أسر شخص واحد من أبنائه. ولكن (صدام) المغرور والمجنون والمتوحش ينكر وجود هؤلاء الأسرى فى العراق، ويخرج على كل القوانين والأعراف الدولية الخاصة بحق الأسرى فى الحياة والمعاملة الكريمة ومن أهمها (معاهدة جنيف) سنة ١٩٢٩ والتى تنص على أن الآسر يعامل الأسير كأنه أحد جنوده وألا يرغمه على القيام بأعمال دون إرادته وأن تكون الأعمال التى يقوم بها مقابل أجر. وفى عام ١٩٤٩م نصت (معاهدة جنيف) الثالثة على أن الأسير يكون تابعا للدولة التى

أسرته وليس للوحدة العسكرية التى أسرته وأن على الدولة الآسرة أن تعامل الأسير كإنسان دون أى تمييز بسبب اللون أو الجنس أو العقيدة، ولاتنزل به أى تعذيب بدنى أو معنوى بل وتوفر له كل الحاجات الإنسانية التى تحفظ له صحته وحياته وبما يسمح له بممارسة نشاطه الثقافى والفكرى والرياضى والاجتماعى، ويفرج عن الأسير ويعاد إلى دولته عند انتهاء وتوقف الأعمال العسكرية والحربية.. والمشكلة الآن من الذى يمكن أن يعيد الأسرى الكويتيين بعد سقوط (صدام) وانهيار العراق تحت جحافل المحتلين ؟! وسيظل الجرح ينزف مادام الأسرى غائبين..

★★★

٦- حرب واحتلال العراق ٢٠٠٣م

ترددت كثيرا واحترت بالأكثر بين الكتابة عن هذه الحرب الغبية الجديدة التى أشعلها (صدام حسين) بكل ما هو معروف ومشهور عنه من غباء وصلف وغرور، وقبل هذا كله وبعده بما يتصف به من (جنون) وكراهية غريزية متأصلة فى أعماقه لكل ما هو حب وخير وجمال . وقد فكرت فى عدم الكتابة عن حرب العراق هذه بسبب أول ومهم هو أنها لم تنته

بعد ومازال أوارها ودمارها مستمرا حتى الآن، ولا يعلم إلا الله وحده إلى أين تصل وإلى متى تستمر؟!

وكان السبب الثانى الذى يدعونى لعدم الكتابة عنها، أنها حرب غبية، كان من الممكن منعها وعدم إشعالها لو أن (صدام) كان يملك القليل جدا من العقل المفكر والحكمة الإنسانية البسيطة، بل لو كان حتى يملك غريزة حب الحياة والتمسك بالبقاء إلى جانب غريزة الشعور بالخطر الذى يهدد سلامة وحياة أى مخلوق على وجه هذه البسيطة، وهى الغرائز الطبيعية التى تجعل الفأر يبتعد عن المصيدة مهما كان فيها من أكل مغر ولذيذ ومثير للشهية.. لكن (صدام حسين) لم يكن حتى يملك الغريزة ولا الذكاء الطبيعى الذى يملكه فأر صغير فينجو من الخطر ويهرب من المصيدة التى تخفي له فى داخلها الموت والهلاك.. وهى أشياء ليست بجديدة على (صدام) الذى رأيناه وتابعنا غروره وغباءه وصلفه وعناده وتهوره المجنون واللا معقول فى مشكلة احتلاله للكويت، ثم فى تمسكه بفكرة غبية ووهم خادع بأن الكويت جزء من العراق وقد عاد إليه ولا يمكن تركه أو التفريط فيه ثانية، وكذلك عدم استماعه لمئات النداءات

والنصائح التى وجهها إليه كل ملوك ورؤساء العالم - حتى أن الرئيس المصرى محمد حسنى مبارك وحده وجه له حوالى عشرين نداء رجاه فيها بـ (تشغيل مخه) وإعادة النظر فى أفكاره غير الطبيعية وسرعة الانسحاب من الكويت قبل أن يعرض نفسه وبلاده والأمة العربية كلها لمخاطر هم جميعا فى غنى عنها، ولكنه (جعل ودنا من طين وودنا من عجين) كما يقولون ولم يستمع لأية نصيحة صادقة ومخلصة !! بل وبينما هو يرى جيوش العالم كلها تتجمع لضربه وتدمير بلاده وطرد قواته من الكويت، إذا به وبكل الغباء والطيش المعروف عنه يوجه جيشه لمهاجمة المملكة العربية السعودية ويضربها بصواريخ سكود التى يرسل بعضها إلى المدن الإسرائيلية أيضا، وكأنه يريد أن تزداد النار اشتعالا وتزيد المشكلة تعقيدا وتنضم إلى جيوش الدول الحليفة والمتحالفة لطرده من الكويت (٢٦ دولة) جيوش أخرى !!!

وانتهت الزوبعة التافهة والطائشة بتحرير الكويت وطرد جيوشه منها مدمرة ومهلهلة ولا قوة ولا حيلة لها، وتدمير وتخريب الاقتصاد العراقى والمدن والمنشآت العراقية، كما

قرأنا ورأينا فى الصفحات السابقة التى عرضنا فيها ملخصا موجزا جدا عن (غزو وتحرير الكويت)..

ولكننى فكرت أن الكتابة عن حرب العراق الآن وفى هذه الصفحات قد تكون دافعا لتجنب إشعال حروب أخرى مماثلة لها، وقد تكون درسا لكل من يفكر أو يحاول تقليد (صدام حسين) والسير على طريقه، تجعله يرى النتائج فيعيد النظر فى كل من الأسباب وأساليب وطرق التعامل مع الآخرين، خصوصا إذا كان هؤلاء الآخرون أكثر منه قوة وأكبر منه فى الإمكانيات والقدرات العسكرية والاقتصادية.. ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه.. لكن (صدام) المتكبر المغرور المجنون لم يعرف قدر نفسه ولا قدر غيره، ولذلك لم يرحمه الله ولم يحترمه الناس ولن يحترمه التاريخ !

ولا أعرف لماذا أفكر فى أهمية وضرورة الكتابة عن الحرب العراقية / الايرانية والتى أشعلها (صدام حسين) مع جارته (إيران) بدون سبب ولغير هدف - أو على الأقل سبب منطقى وهدف معروف ومهم - واستمرت حوالى عشر سنوات (١٩٧٩/١٩٩١) وهذه الحرب أيضا أحد وأكبر الدلائل على جنون وتهور وغباء وطيش (صدام)، فقد ظلت هذه الحرب

التى أطلق عليها (صدام) وأتباعه اسم (قادسية صدام) - وشتان الفارق بين هذه القادسية المثيرة للسخرية وبين قادسية (سعد بن أبى وقاص) القائد العربى والإسلامى الكبير والعظيم والتى فتح فيها بلاد فارس عام ٦٣٥م - لقد استمرت الحرب العراقية الإيرانية لمدة عشر سنوات كان فيها جيش كل دولة منهما (قابع) و(رابض) على أرضه وبين حدوده لايتحرك من مكانه متراجعا ولا مهاجما، وكان كل ما يفعله كل جيش منهما هو قصف المدن الآمنة بالقنابل والصواريخ لتدمير المنشآت والمبانى المدنية وقتل وترويع السكان الأبرياء المدنيين الآمنين .. وهكذا كانت واستمرت هذه الحرب المهزلة والتى لاتختلف عن كل حروب (صدام)، كانت واستمرت حرب تراشقية بدون هجوم طرف على طرف لاحتلال أرض، وكانت مجرد (تراشق) من (بعيد لبعيد) بالقنابل والصواريخ من ناحية وبالخطب الكلامية والقصائد العنترية فى وسائل الإعلام من ناحية أخرى، ونكرر القول بأن هذه الحرب المضحكة لم يحدث فيها تحرك ولا سنتيمترا واحدا للقوات ولا التحام واحد بين الجنود، وقد يكون أسلوبها الغريب هذا هو السبب الأول فى استمرارها كل هذه

السنوات الطوال، ولم يكن من الممكن أن تنتهى أبدا لولا حرب تحرير الكويت.. ففجأة .. وبدون سابق تلميح أو تصريح.. وفى يوم الأربعاء (١٥/٨/١٩٩٠) ينسى (صدام) هذه الحرب الطويلة بينه وبين إيران، ويعلن قبوله لكل الشروط الإيرانية والتى سبق أن رفضها، ويوافق عل توقيع معاهدة سلام واطلاق الأسرى الإيزانيين لدى العراق - معظمهم من المدنيين - وتنفيذه لبنود المعاهدة الموقعة بين العراق وإيران سنة ١٩٧٥ بخصوص تقسيم السيادة بينهما على شط العرب !! وكان (صدام) يظن أن إيران ستؤيده وتقف معه ضد دول التحالف، لكن خاب ظنه وأعلنت إيران وقوفها مع الحق ومطالبتها بانسحاب العراقيين من الكويت !! وردا على هذه المبادرة العراقية الغبية بالاستسلام لإيران دون قيد أو شرط، أعلن الرئيس الإيرانى أن السلام مع العراق قضية منفصلة تماما عن قضية العدوان العراقى على الكويت، وأن استسلام (صدام) لايغير موقف إيران المتمسك بضرورة انسحاب العراقيين من الكويت فورا ودون أى شرط.. ونأتى إلى ثالثة الأثافى كما يقولون؛ فنرى (صدام) يهرب طائراته الحربية وعددها (١١٥) طائرة إلى إيران جارته التى حاربها عشر

سنوات !! وقد اجتمع مجلس الأمن القومى الإيرانى وقرر الاحتفاظ بهذه الطائرات سداداً لجزء من هذه التعويضات المطلوبة لها من العراق !!!

المهم أن حرب العراق/ إيران كانت ككل حروب (صدام) حربا بلا سبب وبلا هدف، حربا مضحكة - وشر البلية ما يضحك - وانتهت بهزيمة مخجلة وخسائر فادحة تحملها الشعب العراقى وحده، وبقى (صدام) فى مكانه الذى لايلائمه ليواصل سلسلة أعماله الطائشة ليقود بلاده من خراب إلى خراب ومن دمار إلى دمار ؟!!

حتى كانت حرب احتلال العراق في مارس ٢٠٠٣م!!

بعد وقوع حوادث (٢٠٠١/٩/١١) وتفجير برجى مركز التجارة العالمى، أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أنها ستحارب الإرهاب والدول التى تسانده وتموله وتأوى رجاله فى العالم كله، ثم اتهمت العراق صراحة بأنها تتعاون مع منظمة القاعدة الإرهابية. ثم أعلن الرئيس الأمريكى (جورج بوش) الابن أن العراق يمتلك أسلحة بيولوجية وكيميائية ونووية محظورة دوليا، وطالب أيضا بضرورة عودة المفتشين

الدوليين الذين سبق أن طردتهم العراق سنة ١٩٩٨، كما طالب بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (١٩٩١/٦٨٧) بخصوص التزام العراق بتدمير كل ما يملكه من منشآت وأسلحة تدمير شامل وأن يوافق على وجود المفتشين الدوليين لمتابعة تنفيذ التزامه هذا بكل دقة.. وكعادته المعروفة عنه رفض (صدام) جميع طلبات الأمم المتحدة ومجلس الأمن لكشف ما يملكه من أسلحة الدمار الشامل، وبالرغم من التحذيرات والتهديدات المتوالية له بأنه إذا لم يرضخ وينفذ طلبات الأمم المتحدة بتدمير أسلحته التدميرية الشاملة ستتعرض بلاده لحرب لا قبل لها بها .. لكن العناد والكبر والصلف والغرور والجنون أيضا وإهمال مصالح الشعب العراقي كلها في سبيل تحقيق انتصارات وهمية وبطولات خادعة، جعلت (صدام) يتحدى العالم كله ويذيع بيانات إنشائية عن كيف سيدمر الجيوش الأمريكية والبريطانية وكل الجيوش والقوات الأخرى المتحالفة معها .. ولمدة تزيد عن العام تقريبا : كانت الأمم المتحدة وكل دول العالم تطلب من (صدام) وتنصحه بضرورة السماح للمفتشين الدوليين بالتفتيش والبحث عن أسلحة الدمار الشامل التي يمكن أن تكون عنده لتدميرها، وكان (صدام)

يرفض هذا التفتيش ويهدد العالم كله وعلى رأسه القوات المتحالفة (قوات الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وعدد آخر من الدول) - كان يهددهم - بالموت والهلاك إذا حاولوا مهاجمة العراق، وبينما كانت القوات المتحالفة تستعد وتتأهب وتتمركز وتخطط وتتدرب، كان (صدام) يتكلم ويهدد ويمثل ويخدع، ثم اختار قناعا فكاهيا مضحكا - وشر البلية ما يضحك طبعا - هو القناع المسمى بـ (محمد سعيد الصحاف) وزير الإعلام العراقى !!! لقد كان أول ظهور لـ (الصحاف) على ساحة العمل السياسى العام فى العراق بتاريخ (٢٢ أكتوبر/ تشرين ١٩٩٠) عندما عينه (صدام) وزيرا للدولة للشئون الخارجية إبان أزمة حرب تحرير الكويت، وبقى (الصحاف) فى هذا المنصب السياسى الخطير لمدة عشر سنوات تقريبا، ثم عمل سفيرا للعراق فى الهند وايطاليا والأمم المتحدة وفى كل المناصب السياسية المهمة والخطيرة التى تولاها لم يلفت النظر إليه، حتى استدعاه (صدام) الذى كان يثق فيه كل الثقة وولاه وزارة الإعلام، ومع بداية حرب العراق واستمرارها احتل (الصحاف) مركز الاهتمام كله فيها، حتى كان العالم كله يترك الحرب التى بدأت فى

(١٩/٣/٢٠٠٣) ويكاد ينصرف عن كل ما يحدث فيها ملتفا حول ذلك المهرج الكذاب المسمى بـ (الصحاف) الذى أعاد للأذهان وبصورة أكثر سخرية هذه البيانات الإعلامية، التى كان يطلقها مدير إذاعة صوت العرب المصرية المذيع القدير والشهير (أحمد سعيد) فى أثناء نكسة الخامس من يونيو ١٩٦٧؛ والذى كان يسقط أكثر من خمسين طائرة إسرائيلية فى البيان الواحد، وحتى وصل عدد الطائرات الإسرائيلية التى أسقطها فى بياناته الإذاعية إلى ثلاثة أمثال عدد الطائرات التى كانت لدى الجيش الإسرائيلى فى ذلك الوقت!! ثم اتضح بعد ذلك أن (أحمد سعيد) مدير إذاعة صوت العرب المصرية كان يعلن أعداد الطائرات المصرية التى تم تدميرها وهى رابضة فى مطاراتها السرية؟!

وهكذا فعل (محمد سعيد الصحاف) فى بياناته التى كان يتابعها الشعب العربى كله وخصوصا الشباب الثائر والمتحمس بالإعجاب والتقدير، بينما كان العالم كله يستمع إليها بالاستهزاء والسخرية !! وكان يستخدم تعبيرات قوية وجزلة ومضحكة وغريبة مثل وصفه للغزاة بـ (العلوج) و(الملاعين)، وهى التعبيرات التى أثارت الكثير من التعليقات،

والتى بثت فى نفوس المستمعين إليها من العرب الكثير من التفاؤل والإعجاب بقوة العراق وقدراته الكبيرة والمجهولة التى ستمكنه من تدمير الغزاة الملاعين العلوج والقضاء عليهم!! لكنها تهاوت وسقطت كلها مع سقوط وانهيار أول وأكبر تمثال لصدام حسين فى ساحة الفردوس ببغداد، وما تبعه من أنباء حقيقية ومصورة ومعلنة على كل الفضائيات العالمية عن هروب واختفاء (صدام) وكل وزراء ورجال النظام العراقى، بل واختفاء كل القوات العراقية الباقية والناجية من التدمير والهلاك، واختفاء (الصحاف) نفسه فجأة !!

وقد أدهش (الصحاف) العالم كله بقدرته الغريبة على إلقاء البيانات الكاذبة بكل هذه الثقة والتأكيد، حتى أنه كان يهدد (الغزاة العلوج) بالذبح فى شوارع بغداد وأكد أنهم ينتحرون ويذبحون فى هذه اللحظة بالمئات على أبواب بغداد!! كان يعلن ذلك فى نفس الوقت الذى كانت القوات الأمريكية قد دخلت بغداد كلها، بل وكانت الدبابات تمر على بعد خطوات قليلة من المكان الذى كان يقف فيه (الصحاف) ملقيا بياناته المضحكة ؟!

وقد تفوق (الصحاف) فى أكاذيبه وأسلوبه المضحك على كل من سبقوه فى هذا المجال من أمثال : (جوبلز) امبراطور

الدعاية النازية فى عهد هتلر ، و(عبدالله عبدالله) وزير خارجية طالبان، و (أحمد سعيد) مدير إذاعة صوت العرب فى عهد (جمال عبدالناصر) وأيام نكسة يونيو ١٩٦٧!! ولعل القارىء اللبيب قد لاحظ هذا التشابه الغريب والمثير بين اسم كل من (أحمد سعيد) و(محمد سعيد الصحاف) ودور كل منهما فى إعلام بلاده أثناء الحرب، وكيف اختفى كل منهما بعد انتهاء الحرب بالهزيمة الساحقة لبلاده !!!

لقد فكرت وحاولت أن أكتب عن حرب احتلال العراق على شكل يوميات وبنفس الطريقة التى كتبت بها عن حرب تحرير الكويت، لكننى لم أستطع هذا، فحرب العراق لم تكن حربا يومية تجرى بالتجزئة، بل كانت حربا متصلة الأيام أو حربا بالجملة، بدأت ودارت وانتهت فى يوم واحد طويل ومتصل بدأت ساعاته الأولى فى (٢٠٠٣/٣/١٩) وانتهت باحتلال القوات الأمريكية والبريطانية والقوات المتحالفة معهما للعراق كله، وسقوط بغداد وسقوط (صدام حسين) وانهيار نظامه الديكتاتورى الدموى كله، واليوم فى أقل من عامين اثنين تحول (صدام حسين) من ديكتاتور دموى يخشى أى مواطن عراقى أن يذكر اسمه، أو يمشى بالقرب من تمثاله الكبير

الذى كان يتوسط ساحة الفردوس فى وسط بغداد، تحول إلى مجرد سجين أغبر الوجه أشعث الشعر متجهم القسمات زائغ العينين رث الثياب طليق اللحية هزيل الجسم، لم يعد يختلف كثيرا عن أى سجين عادى جدا من هؤلاء الآلاف من العراقيين الذين كان يلقى بهم فى السجون والمعتقلات لأى سبب أو حتى بدون سبب، وسيبقى فى سجنه حتى تتم محاكمته على الكثير من الجرائم التى ارتكبها فى حق شعبه وحق بلاده وحق الإنسانية كلها .. ولعل السؤال المهم الذى يطرح نفسه هنا هو :

ما هى نتائج حرب العراق منذ مارس ٢٠٠٣م وحتى الآن؟!

إن ضحايا القتال العسكرى من العراقيين تعدى المائة ألف قتيل، بالإضافة إلى مئات الآف من الجرحى والمصابين، إلى جانب عشرات الآلاف من العسكريين والمدنيين العراقيين من ضحايا الحرب الأهلية والعمليات الإرهابية التى تقع فى كل أنحاء العراق بمعدل يومى مرتفع ومتزايد جدا منذ انتهاء الحرب وإعلان وقف اطلاق النار بين العراق والحلفاء رسميا،

وإن كان إطلاق النار والتفجيرات والاغتيالات اليومية لم تتوقف حتى الآن ..

أما عن ضحايا حرب العراق من الأمريكيين وطبقا لتقارير وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون) فقد تجاوز الألفين من العسكريين بالإضافة لأكثر من عشرة آلاف جريح ومصاب، ومما يثير العجب والدهشة أن كل هذا العدد من القتلى والجرحى لم يصابوا في العمليات الحربية القتالية، بل أصيب (٩٥٪) منهم في العمليات الإرهابية التي تقوم بها المقاومة العراقية، التي فرحت وسعدت بسقوط (صدام) ونظامه ولكنها حزنت وترفض بقاء الأمريكيين في العراق ولو ليوم واحد أو تحت أي سبب من الأسباب، وأظن أن هذه المقاومة العراقية لن تتوقف وستستمر حتى جلاء آخر جندي أجنبي على أرض الرافدين.. ونترك حرب العراق ٢٠٠٣م قليلا ونعود إلى الوراء بعض الشيء ..

فمنذ حرب تحرير الكويت ١٩٩١م ، والعراق يتعرض - أو بمعنى أدق يعرض نفسه، أو يعرضه الزعيم الركن المغرور المجنون (صدام حسين) - للكثير من الويلات التدميرية

والضربات العسكرية المختلفة وخصوصا من قبل القوات الأمريكية والبريطانية والتى نلخصها فيما يلى :

أ – بعد انتهاء حرب تحرير الكويت فرضت كل من الولايات المتحدة وانجلترا منطقتين فى شمال وجنوب العراق (تغطيان أكثر من ٦٠٪ من مساحة العراق) يحظر تحليق الطيران العراقى فيهما، وهاتان المنطقتان لم يرد لهما أى ذكر فى قرار مجلس الأمن رقم (١٩٩١/٦٨٦) ولكن حددتهما الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من تلقاء نفسيهما ؟!

ب – توالى قصف القوات الجوية الأمريكية والبريطانية أكثر من مرة :

١ – فى يناير ثم فى يونيو من عام ١٩٩٣ م.

٢ – فى سبتمبر ١٩٩٦م.

٣ – فى ديسمبر ١٩٩٨ م.

٤ – فى فبراير ٢٠٠١ م.

ثم جاءت هذه الحرب الأخيرة (مارس ٢٠٠٣) بعد أن بدأت القوات الأمريكية والبريطانية والقوات المتحالفة معهما فى حشد جيوشها وأسلحتها فى كل من : الكويت والسعودية وتركيا واليونان وأسبانيا منذ شهر يوليو ٢٠٠٢م وعلى مدى

تسعة أشهر كاملة ، وكان سبب تعطيل، وتأجيل بدء هذه الحرب راجع إلى عاملين اثنين هما : مراوغات وألاعيب صدام حسين من ناحية، وعدم حصول قوات التحالف على موافقة ومباركة الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولى على شن هذه الحرب، بالإضافة إلى معارضة الكثير من الدول لشن هذه الحرب وفى مقدمتها: فرنسا، ألمانيا، روسيا، الصين.. ونتوقف هنا قليلا لنروح عن أنفسنا مع قفشات وضحكات هذا المهرج المسطول والذى لايكاد يحس أو يدرك حقيقة ما يدور من حوله، ولا يستطيع أن يرى الهاوية التى يوشك أن يقع فيها، أو يرى الجحيم الذى سيصلى ناره بعد أيام طالت أو قصرت ؟!

ففى الوقت الذى كانت فيه قوات الحلفاء تحتشد بكل قوتها وقواتها لشن حرب ضروس ومدمرة لاتبقى ولاتذر، وفى الوقت الذى كان فيه العالم كله مشدودا ومشدوها ويبذل كل جهوده الصادقة والمخلصة لمنع قيام هذه الحرب التى كانت بوادرها تلوح فى الأفق، وفى هذا الوقت الذى كان الناس جميعا وفى كل أنحاء الكرة الأرضية يبكون ويصلون ويتظاهرون من أجل منع قيام هذه الحرب، كان (صدام

حسين) يقيم للشعب العراقى مأدبة غداء عامة بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الحسين رضى الله عنه فى العاشر من شهر المحرم، وقد أمر (صدام) بتخصيص مبلغ (٤٠٠ مليون) دينار عراقى لإطعام الشعب العراقى فى هذه المأدبة السنوية التقليدية. وكأننى بالرئيس العراقى كان (يزغط) ويسمن العراقيين قبل التضحية بهم وتقديمهم وقودا للحرب التى اشتعلت نيرانها بعد ستة أيام فقط من هذه المأدبة، التى وصفها بعض قادة ووزراء العراق أيامها بأنها مكرمة سخية من الزعيم القائد صدام حسين اعتزازا منه بمآثر جده الحسين سيد الشهداء رضى الله عنه ؟!!

وإلى جانب هذه المأدبة التى يمكن أن نقبلها ونغض الطرف عنها لارتباطها بمناسبة دينية لها قدسيتها واحترامها ولأن المستفيد منها - وعلى غير العادة - الشعب العراقى الجائع والمعذب والمغلوب على أمره، يأكل ويشرب إذا أمره رئيسه بالأكل والشرب، ويحارب ويموت إذا أمره رئيسه بالحرب والموت - إلى جانب هذه المأدبة الغريبة فى أسلوبها وفى توقيتها (٢٠٠٣/٣/١٣) - أعلن (عزة إبراهيم) نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية، أن اللجنة المكلفة

والمشرفة على الإعداد لاحتفالات العراق بعيد الميلاد الميمون القائد الزعيم الركن (صدام حسين) تواصل العمل ليل نهار ليكون الاحتفال بعيد ميلاد (صدام حسين) فى (٢٨ أبريل ٢٠٠٣) على أحسن وأعظم مستوى، ورغم أن الاحتفال بعيد الميلاد الميمون للزعيم الركن لم يتم بسبب اشتعال حرب العراق فى (٢٠٠٣/٣/١٩) وأيضا بسبب سقوط (صدام) ونظامه الحاكم، لكن يحق لنا اليوم التعجب واستنكار أن الاستعداد للاحتفال بعيد ميلاد (صدام) من جانب المسئولين العراقيين كانْ مواكبا لاستعدادات الحلفاء الجادة والمستمرة لمحاربة العراق، وتدمير آلته العسكرية التى يتفاخر بها مهددا جيرانه والدول التى تعارض سياساته الإرهابية !!

لقد حرصت على عرض هاتين اللقطتين الغريبتين من تصرفات (صدام) وحاشيته، لأبين وأثبت غرورهم وطيشهم وجنونهم، وكيف أنهم يشعلون الشموع فى قصورهم، ويشعلون الحروب – بما فيها من حرائق ودمار وموت –فى حياة شعوبهم المسكينة المستسلمة لكل ما يريده منها وبها حكامها!!

وبعد مأدبة الغداء العامة وإعلان الاستعداد للاحتفال بعيد الميلاد السعيد والميمون للزعيم (صدام حسين) بستة أيام فقط، وفي يوم التاسع عشر من مارس ٢٠٠٣م قامت الحرب، وسقط (صدام) ونظامه ورجاله، وسقطت بغداد وسقطت العراق كلها دون أية مقاومة تذكر!! وحتى اليوم لم يتوصل العالم كله لإجابة واضحة ومؤكدة على سؤال بسيط جدا يقول: كيف اختفت القوات العراقية كلها في ساعات قليلة ودون أن تترك أثرا وراءها ؟! وكيف اختفى (صدام) وكل رجاله فجأة وأيضا دون أن يتركوا وراءهم أى أثر يدل عليهم؟!

وقد اختلفت حروب اليوم كثيرا عن حروب الأمس، حيث أصبحت بفضل الأجهزة والأسلحة الالكترونية الحديثة جدا مثل (حروب السينما) أو مثل (لعبة الشطرنج) أى أصبحت مكشوفة تماما أمام الطرفين، وأصبح كل طرف من الطرفين المتحاربين يعلن مسبقا عن خططه الحربية التى سيعتمد عليها وينفذها دون أن يخشى قيام الطرف الآخر بإفساد خططه المعلن عنها؛ لأنه يملك الحلول البديلة والسريعة والمفاجئة .. وأعتقد أنا شخصيا أن هذا التطور فى أساليب الحرب

المكشوفة قد تصلح بين دولة متقدمة جدا وتحيا وتعمل بالعلم والتكنولوجيا، وبين دولة متخلفة ومتأخرة لا تعرف من العلم إلا اسمه وتحيا وتعيش على الخرافات والأوهام ، حتى أنها تجمع (نوى) الدوم والبلح وتخزنه بدعوى أنها ستشن على أعدائها حرباً (نووية) !!! أما إذا كانت الحرب بين دولتين على نفس المستوى من العلم والتكنولوجيا - تقدما أو تخلفا - فإن كلا منهما سيخفى خططه وأسلحته حتىُ تلعب المفاجأة لعبتها فى صالحه فتحقق له نصف انتصاره !!

وهكذا حدث فى كل من حرب تحرير الكويت وحرب احتلال العراق ... كشفت دول التحالف بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية الخطة الكاملة والسيناريو التفصيلى للحرب التى ستشترك فيها أمام الدنيا كلها وقبل حدوثها بشهور أو أسابيع طويلة ... وعلى سبيل المثال نقدم فيما يلى سيناريو حرب العراق كما أعلنته القيادة الأمريكية فى شهر فبراير ٢٠٠٣ وقبل بداية الحرب بأكثر من شهر كامل :

١ - تحديد موعد الحرب مابين (١٥ مارس) و(١٥ ابريل)، وقد اندلعت الحرب فعلاً فى (١٩ مارس ٢٠٠٣) م .

٢ – تبدأ الحرب بـ (قصف استراتيجى) يستمر يومين أو ثلاثة أيام على الأكثر ، وبعده تنطلق جحافل مشاة الأسطول والمارينز إلى شمال وجنوب العراق ، بحيث تصل إلى مشارف بغداد خلال أسبوع واحد أو عشرة أيام على الأكثر ، وتشتبك فى معارك برية للاستيلاء على بغداد وإسقاط النظام خلال مدة لاتزيد على الشهر الواحد ...

٣ – يتم القصف الاستراتيجى بضربات جوية مكثفة ليلا وبواسطة صواريخ كروز وتوما هوك التى تطلق من الطائرات والطرادات والمدمرات كلها وفى وقت واحد ، لتدمير مراكز القيادة وخطوط الاتصالات وطرق المواصلات لإحداث الارتباك فى القوات العراقية مما يسهل السيطرة عليها وإخراجها مبكراً من القتال .

٤ – تنتشر القوات الأمريكية مع الاعتماد الأكبر على (المارينز) ومشاة الأسطول فى الأراضى العراقية فى اتجاهين اثنين :

الاتجاه الأول (جنوب وشمال بغداد ، لعزل القوات العراقية وتشتيت جهودها وتفرقة قواتها ، والوقت المقدر لهذه العملية أربعة أو خمسة أيام فقط) ...

الاتجاه الثانى (إسقاط المظليين على الأماكن التى يعتقد أن فيها أسلحة دمار شامل ، وهذه العملية لايجب أن تستغرق أكثر من ساعات قليلة وأن تتم بسرعة كبيرة وسرية كاملة ودقة تامة ، لأن أى فشل فيها ولو كان صغيراً جداً يمكن أن يضاعف عدد الضحايا آلاف المرات ، بل وقد يفشل الحرب كلها) ...

هذا الكلام الذى ذكرته فى السطور القليلة السابقة ظل يتردد ويقال وينشر فى وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية مع الكثير من التحذيرات والنداءات التى تبين وتوضح لـ (صدام حسين) ولكل من يشجعه ويقف إلى جانبه خطورة الحرب ، ومدى تأثيرها على العراق تدميراً وتكسيراً ، لكنه ركب رأسه وعاند نفسه ولم يستجب لكل النداءات التى جاءته من كل مكان فى العالم وخصوصا من الرئيس (حسنى مبارك) ، تبصره بخطورة مايمكن أن يحدث له ولبلاده ولشعبه أيضا .. لكن من يسمع ومن يستجب !!!

وهكذا بدأت الحرب فى (١٩ مارس ٢٠٠٢) ، وكل ما أعلن حدث ، وبين ليلة وضحاها ، سقط نظام (صدام حسين)، وسقطت العراق كلها تحت الاحتلال ، ومازالت

الحرب فى العراق مستمرة حتى اليوم وإلى أن يشاء الله .. صحيح أن الحرب النظامية بين الجيوش قد انتهت ظاهريا ، لكن الحرب بين قوات الاحتلال وبين الشعب العراقى كله الذى يرفض الاحتلال ويطالب بكل مايملك من قوى بانسحاب المحتلين مازالت مستعرة إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً...

وأعتقد أننى لست بحاجة إلى إنهاء هذه الصفحات عن حرب العراق ، لأن الحرب نفسها مازالت مشتعلة حتى الآن وبعد مرور أكثر من ثلاث سنوات منذ اندلاعها ، لكننى متأكد تماما أنها ستنتهى يوما ما - وأتمناه أن يكون قريباً جداً - وسيرحل الاحتلال عن بلاد الرافدين مهما طال بقاؤه ومهما كانت قوته ومهما كانت أحلامه ، فالقانون الإلهى الذى يحكم الحياة هو أن لكل شىء نهاية ، واحتلال العراق (شىء) يخضع لقانون إلهى لايمكن أن يتغير ولايستطيع أحد أو شىء أن يفلت منه أو يهرب من حكمه مهما كانت قوته وقدراته ...

★ ★ ★

الفصل الرابع:

الحرب القذرة ... حرب الإرهاب ...

وكأن البشر لم تكفهم الحروب الكبيرة بين الدول ، والتي تحشد لها الجيوش وتستخدم فيها الكثير من الأسلحة ، وتنتج عنها نتائج مرعبة ومحزنة من تدمير للمدن وتخريب للثروات وإنهاء لحياة الآلاف أو الملايين بالموت أو بالإعاقة التى لا شفاء منها ... وكأن الناس لم تشبعهم الجرائم اليومية البشعة والتي يقتل فيها بعض الطماعين والمجانين الناس الأبرياء بسبب الحقد عليهم أو الطمع فى الاستيلاء على مايملكونه من حطام هذه الدنيا التى لن تدوم لأحد .. فاخترع بعض أشرار البشر وشياطينهم حرباً جديدة هى الحرب القذرة ، حرب لا هدف لها ولا ثمر منها وليس فيها منتصر ، حرب سوداء لاتفرق بين ظالم ومظلوم ، ولا بين قاتل وقتيل ، ولا بين مجرم وبرىء، ولا بين كبير وصغير ... حرب لاتبقى ولاتذر ... هى مايطلق عليه من يقومون بها اسم (حرب

الجهاد) أو (حرب الله) والله والجهاد منهما بريئان وعليهما غاضبان ورافضان ، بينما يطلق عليها الأسوياء (حرب الإرهاب) ، فالهدف منها هو التخويف والترويع ، والقتل والتخريب لمجرد القتل والتخريب وبصرف النظر عمن تصيب.. وليسمح لى القارىء العزيز أن أبدأ هذه الصفحات عن الإرهاب أو مايمكن أن نطلق عليه (الحرب القذرة) بهذه القصة الرمزية المعبرة والموحية عن : الفأر والمصارع ... (فى مدينة كبيرة ، سكن (مصارع) مشهور فى ڤيللا فخمة تقع فى أهم وأفخم وأكبر وأشهر شوارع المدينة ... ولأنه أحد أبطال المصارعة المعروفين على المستوى الرياضى والمشهورين على مستوى وسائل الإعلام الكثيرة والمتنوعة ، فقد كان الناس الذين يتعاملون معه أو يجاورونه فى السكن أو يزاملونه فى العمل يحبونه ويقدرونه ، كما أنهم كانوا أيضا يخشونه ويتحاشون الاختلاف أو العراك معه .. وعندهم كل الحق ، فهو مصارع قوى وعصبى وسريع الغضب جدا ... وذات مساء فوجىء الناس بهذا المصارع القوى ضخم الجثة يجرى فى الشوارع كالمجنون ، ويدخل إلى أول صيدلية قابلته فى طريقه وقال للصيدلى العجوز بصوت لاهث ومتقطع :

– من .. فضلك .. أريد شراء أفضل وأغلى سم لقتل الفئران ... ضحك الصيدلى العجوز وقال له :

– إجلس وخذ نفسك .. سأحضر لك طلبك حالاً ...

– بسرعة من فضلك ... بسرعة ...

وغاب الصيدلى العجوز بعض الوقت فى حجرة صغيرة مظلمة مكتوب على بابها بخط جميل واضح (السموم) ، وإلى جانب حروفها الحمراء الكبيرة رسمت جمجمة سوداء مرعبة الشكل . ثم عاد ومعه علبة كبيرة بنية اللون ، وقدمها للمصارع وهو يقول له :

– ابعدها عن الأطفال ...

– هل هو سم فعّال ؟!

– إذا شمه الفأر يموت فى الحال ...

– شكراً لك ...

وأسرع (المصارع) إلى ڤيلته الكبيرة ، وهناك وضع السم الذى أعطاه له الصيدلى فى جميع أركان حجرات وصالات وممرات الڤيلا ، وفى كل مكان يمكن أن يسير فيه ذلك الفأر أو هذه الفئران التى هددت حياته ...

وبعد بضعة أيام وجد فأراً صغيرا ميتا ، ولكن آثار وجود الفئران الأخرى الكبيرة بالفيلا مازالت واضحة ... وبعد عدة أيام كثيرة مرت عثر على فأر آخر صغير ميت ... لكن آثار امتلاء الفيلا بالمزيد من الفئران الأخرى الكثيرة والكبيرة والخطيرة أصبحت أكثر ظهوراً ووضوحاً ... ويزداد إحساسه بوجودها وسماعه لأصواتها فى الليل عنه فى النهار ... ولم يفلح السم القاتل فى القضاء عليها .. وجرب سموما أخرى ومصايد لمحاولة صيدها وأنواعا مختلفة من وسائل محاربة الفئران والقضاء عليها دون جدوى ... بل والأدهى والأمر من ذلك أن هذه الفئران زادت عدداً وخطورة ... ومازال الصراع مستمراً بين المصارع الجبار وبين الفئران ... هى تخرب له كل ممتلكاته التى تصل إليها ، وهو يقتل فأراً صغيرا منها كل عدة أيام أو ربما عدة أسابيع ...) ... ولابد أن القارئ اللبيب قد اكتشف مفاتيح هذه القصة الرمزية ... فالفيلا هى العالم الذى نعيش فيه ، والمصارع هو الناس الذين يعيشون فى الدنيا وهم يسعون للبناء والتنمية والتعمير ، والفئران هم الإرهابيون الذين لاهدف لهم إلا التخريب والتدمير ....

ونترك القصة الرمزية الصغيرة للقارىء العزيز حتى يعيد قراءتها وتأملها والتفكير فيها وتخيل تفاصيلها ونهاياتها ... ونفتح نحن باب الواقع لنعرض لهذه الحرب القذرة التى أصبحت من سمات عصرنا الغريب وزماننا العجيب ، حيث وصل الإنسان لمراتب عالية من التقدم التكنولوجى وفى الوقت نفسه نزل إلى أدنى درجات المشاعر والعلاقات الإنسانية ... وهذه هى قمة المفارقة المؤلمة والمحزنة فى حياة الناس اليوم...

ومن خلال الصفحات التالية نعرض باختصار وإيجاز غير مخل ، مع شىء من التفصيل غير الممل أيضا لهذه الحرب القذرة (حرب الإرهاب) ... وذلك من خلال الإجابة أو على الأصح محاولة الإجابة عن الكثير من الأسئلة التى أثارتها وطرحتها هذه الحرب :

ماهو الإرهاب ؟!

ماهو تاريخ الإرهاب ؟!

ماهو هدف الإرهاب ؟!

كيف نقاوم الإرهاب ؟!

★ ★ ★

ونحاول فيما يلي أن نجد إجابة مقبولة على السؤال الأول: ماهو الإرهاب ؟!

ويؤسفنا ويحزننا وبنفس الدرجة يدهشنا أن نعرف أن الكتاب والمفكرين وعلى مستوى العالم كله قد اختلفوا عندما حاولوا الإجابة على هذا السؤال الصغير والبسيط فى ظاهره والكبير والصعب فى جوهره .. ولكننا هنا سنحاول الوصول إلى أفضل تعريف منطقى ومقنع لهذا الشيطان غير المنطقى وغير المقنع ، ونقصد به طبعا (شيطان الإرهاب) ... إن كلمة (الإرهاب) هى من أكثر الكلمات التى تثير النقاش والجدل والاختلاف عند محاولة تعريفها أو تحديد حتى ولو حد أدنى لفهومها ومدلولها ومعناها ... ومادمنا نبحث عن معنى الكلمة، فنرى أن نبدأ بـ (لسان العرب) لابن منظور حتى نبدأ بعرض المعنى اللغوى الخالص والصرف للكلمة :

(رهب بكسر الهاء يرهب رهبة ورهبا بالضم ورهبا بالتحريك أى خاف ، ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبة : خافه... والاسم من رهب هو الرهب والرهبى والرهبوت والرهبوتى، ورجل رهبوت أى مخيف ، ويقال : رهبوت خير من رحموت أى المخيف خير من الرحيم ...

وترهب غيره أى توعده وهدده ، قال الأزهرى :

تعطيه رهباها إذا ترهبا   عصارة الجزء الذى تحلبا

والرهباء من الرهب ، يقولون : الرهباء من الله والرغباء إليه .

الرهبة : الخوف والفزع . وأرهبه ورهبه واسترهبه أى أخافه وأفزعه ، واسترهبهُ بمعنى استدعى رهبته حتى رهبه الناس ، وبذلك فسر قوله تعالى : (واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) بمعنى أرهبوهم . وفى كلام بهلز بن حكيم : إنى لاسمع الراهبة أى المخيفة المفزعة ...

وفى قول آخر :

إنى أسمعك راهباً أى خائفاً فزعاً ... ورهب الجمل إذا نهض ثم برك لضعف أصابه . والرهبى الناقة المهزولة جداً . وناقة رهب :

ضامرة ، وجمل رهب :

عريض العظام مشبوح الخلق . والرهب : السهم الدقيق أو العظيم وهو أيضا كم القميص أو الجلباب) ... وخلاصة كل هذا البيان :

أن الرهب هو الخوف والفزع كما أنه أيضا السهم العظيم أو الرقيق ، وهو كبر الحجم أو الهزال والضعف فى الوقت نفسه ... والإرهاب مأخوذ من كل هذه المعانى وجامع لها ومعبر عنها ...

وعلى مستوى العالم ، فإن كلمة الإرهاب تعتبر من أكثر الكلمات المثيرة للجدل والنقاش عند محاولة تفسيرها أو تحديد مدلولها ومعناها ، وكل مايتفق الناس عليه عن (الإرهاب) هو أنه عمل أو كلام مخالف للقيم الدينية والمعايير الأخلاقية والقوانين الدولية والمحلية ...

لقد عرف بعض الكتاب الإرهاب بأنه شكل معقد من العنف المحاط بغلاف وهمى من الادعاءات السياسية أو التبريرات الدينية أو الدوافع الاقتصادية أو التمييز الاجتماعى ، وهو ليس عملا عشوائيا ينبت فجأة فى رأس من يؤمن به أو يقوم بالتشجيع عليه أو يعمل على تنفيذه ، بل هو مخطط كامل له هدفه أو أهدافه المعلنة أو غير المعلنة ، وله أساليبه المنطقية أو غير المنطقية ، وله أسبابه التى قد تكون معروفة أو مجهولة . وهو فى معظم الأحيان أداة استراتيجية

يعتمد عليها هؤلاء الذين يرفضون كل القوانين والتقاليد التى تعيش بها المجتمعات المتحضرة فى هذا العالم ...

ويعرف كتاب آخرون الإرهاب بأنه الاستخدام الأعمى وغير الشرعي وغير المبرر للقوة والعنف يقوم به فرد واحد أو تقوم به جماعة أو منظمة ضد المجتمع ككل بأفراده وممتلكاته بهدف الضغط على الحكومة أو على عدد من الحكومات لإجبارها على الخضوع لها وتحقيق بعض طلباتها السياسية أو الاقتصادية أو الايديولوچية التى قد تطالب بها بأسلوب مباشر أو غير مباشر ... وربما يكون اختلاف تعريف الإرهاب سببا لمحاولات بعض الدول والجماعات التى تحاول استخدامه فى تحقيق أهدافها الخاصة بها ، بحيث إن الإرهاب فى تعريف دولة ما يعتبر مقاومة مشروعة فى مفهوم دولة أخرى ... ولكن الإرهاب كمصطلح يتسع فى مفهومه العام ليشمل كل عمل عدوانى يؤدى إلى إفزاع وإخافة وتهديد الناس وخلق الرعب والاضطراب بداخلهم بصرف النظر عن وسائل تحقيق أو تنفيذ هذا الرعب والفزع وبصرف النظر أيضا عن نوعية القائمين به من مخططيه أو منفذيه .. ومن هنا فإن (الإرهاب) بمعناه العام يشتمل فى داخله على كل

عمل عدوانى قد يتم بالقول والكلام أو بالفعل مثل التهديد والتخريب والقتل والاغتصاب أو بأى من الممارسات المخيفة والتى قد تصيب الناس المتهمين أو الأبرياء فى أنفسهم وفى ممتلكاتهم ، ويندرج تحت هذا التعريف أيضا الاحتلال الأجنبى ، وتسلط الأقوياء على الضعفاء بتهديد حياتهم وأمنهم وسلامتهم بالإضافة إلى ممتلكاتهم أيضا ... ونظراً لفشل الأمم المتحدة وكل الكتاب والمفكرين حتى الآن فى الاتفاق على تعريف واضح ومحدد للإرهاب ، فإن هذا الفشل تسبب فى الخلط عن قصد أو بدون قصد بين كل من (الإرهاب) و(المقاومة الوطنية) ، وأصبح الدفاع عن النفس وعن الوطن والمطالبة بالحقوق المشروعة ومحاربة المعتدى والمحتل والحاكم الظالم فى نظر الكثيرين (إرهابا) ، بينما يطلق على الاعتداء المسلح على البلاد الآمنة واحتلالها عمل إنسانى لحماية الأمن ومكافحة الإرهاب !! وهو طبعا أمر مضحك جداً ، وشر البلية مايضحك !!

فالإرهاب شىء والمقاومة الوطنية شىء آخر تماما .. لكن عدم التعريف الدقيق والخلط الأعمى بينهما هو الذى خلق هذا التشويش والجهل بالنسبة لكليهما عند الكثيرين .. وهو الذى

حوّل المجرم إلى ضحية وجعل المجنى عليه جانيا .. بل ويصل الأمر - بسبب الخلط وعدم التعريف أو التمييز بين المناضل والإرهابى - إلى حد اختلاف وجهة النظر والرأى الصائب إلى الشخص الواحد نفسه :

فالمقاتل الفلسطينى مناضل ومقاوم للظلم والعدوان وللاحتلال من وجهة نظر العرب والمسلمين وكثير من الذين يعرفون قصته ويدركون حقوقه ويعملون على مساعدته ، وهو فى الوقت نفسه إرهابى من وجهة نظر الصهاينة ومن يؤيدونهم ... وما يقال عن هؤلاء الفلسطينيين الشجعان والأبطال ، يمكن أن يقال أيضا عن العراقيين وعن كل الذين يحاربون بشجاعة وبدون خوف من أجل تحرير أوطانهم المغتصبة فى أى مكان فى هذا العالم ...

لكن لابد لنا هنا من وقفة ضرورية ومهمة ، لأن الصدق وأمانة الرأى توجب علينا أن نوضح حقيقة مهمة وهى أن بعض المناضلين عن حرية بلادهم وحقوق شعوبهم قد يقومون ببعض الأعمال التى تشوه نبل مقاصدهم وتسىء إلى مشروعية أو قانونية أهدافهم ، وللحق فإن معظم من يقومون بذلك لايكونون غالبا من المناضلين الحقيقيين بل من أدعياء

الوطنية والمتاجرين بقضايا أوطانهم وسلامة ورخاء شعوبهم ... هؤلاء الذين يجرون وراء مكاسب شخصية ومناصب وكراسي رئاسية ومكانة وشهرة تعود عليهم بالأموال والتصفيق معا ، لايقاومون أعداء بلادهم ولا يقاومون محتليها وغاصبيها ، بل قد يتعاونون معهم سراً من أجل تحقيق منافع ومكاسب شخصية هزيلة وزائلة ، بينما يعلنون فى الوقت نفسه وعلنا أنهم سيناضلون حتى آخر العمر ضدهم !!! وبدلاً من توجيه أسلحتهم وقنابلهم إلى جنود وقوات العدو الحقيقى الذى يجب أن يقاوموه وأن يقاتلوه ، فإنهم يوجهونها إلى المدنيين الأبرياء ، وبذلك يعطون لأعدائهم فرصة وصفهم ووصمهم بالإرهابيين ، بل ويصبح الأمر أشر وأسوأ عندما يقوم هؤلاء المدعين الذين يحسبون ظلما وكذبا من المناضلين بإرهاب شعوبهم نفسها والإضرار بها وبممتلكاتها بدعوى النضال والمقاومة ... وبذلك يتسبب عدم التعريف الدقيق والواضح للإرهاب من ناحية ، وقيام مدعى النضال والمقاومة الوطنية بأعمال بعيدة تماما عن النضال الحقيقى والمقاومة الهادفة من ناحية ثانية إلى حدوث هذا الخلط وهذا التشويه بين الإرهاب والمقاومة ...

ولتوضيح هذه الملاحظة بالذات لابد من ضرب بعض الأمثلة التاريخية والواقعية التى تجعلنا على بينة من الفرق بين كل من (المقاومة) المشروعة و(الإرهاب) غير المشروع :

عندما كان الإنجليز يحتلون مصر ، وكانت جيوشهم الموجودة على أرضنا الحبيبة تعيث فساداً دون رادع من أخلاق أو ضمير ، تشكلت ضدهم جبهات ومنظمات وجماعات لمحاربتهم وإجبارهم على الرحيل عن مصر ... ورغم أن مصر كان يوجد بها الكثير من الإنجليز المدنيين أصحاب الشركات والتجار والعاملين ، إلا أن (المقاومة) المصرية ركزت حربها ووجهت قتالها وضرباتها إلى الجيش البريطانى نفسه بقادته وجنوده ، ولم تحاول أن تضرب أو تقتل مدنيا إنجليزيا واحداً مادام غير مرتبط بأعماله ونشاطه بجيش الاحتلال . ولذلك نجحت المقاومة المصرية في تحقيق هدفها بطرد المحتلين وتحرير مصر من الاستعمار البريطانى الذى جثم على صدرها وكتم أنفاس أهلها لأكثر من سبعين سنة ... لكن طرد جيش الاحتلال البريطانى من مصر لم يمنع من وجود وبقاء عدد كبير من المدنيين البريطانيين فى مصر حتى الآن ..

ولم يمنع مجيء الآلاف من السياح البريطانيين إلى مصرنا الغالية للتمتع بشمسها ومشاهدة آثارها حتى اليوم ...

هذه هى (المقاومة) الوطنية المشروعة ، وهؤلاء هم المناضلون الحقيقيون : يقاومون جنود الاحتلال ويحاربونهم بلا هوادة ولا رحمة ويقتلونهم بلا شفقة ، ولكنهم أبداً أبداً لايهددون إنسانيا مدنيا غير مرتبط بجيش الاحتلال ولا يعمل على دعمه ولايتعاون معه ...

وبنفس هذه (المقاومة) الوطنية الإنسانية والشجاعة تحررت كل الدول العربية أيضا : فى الشام ، ودول شمال أفريقيا ، والسودان ، والخليج العربى وغيرها ...

وخلال الحرب العالمية الأولى والثانية بين ألمانيا وحلفائها من جانب وبين إنجلترا وحلفائها من جانب آخر ، ورغم وحشية (هتلر) وقسوته وما ارتكبته جيوشه من جرائم ومذابح ضد العسكريين والمدنيين فى الدول التى وقعت تحت الاحتلال النازى ، فإن الأوربيين جميعا ركزوا فى مقاومتهم على تدمير الأهداف العسكرية أو التى لها صلة مباشرة بالأعمال الحربية، ولم نقرأ أو نسمع أن المقاومة الوطنية فى أى دولة أوربية قد وجهت ضرباتها إلى المدنيين أبداً ...

وفى حرب فيتنام ، ورغم أن الأمريكيين الغزاة لم يتورعوا لحظة عن قصف المدن وبعض الأهداف المدنية التى ظنوا أن لها صلة ما بالنشاطات العسكرية، إلا أن المقاومة الفيتنامية بقيادة (هوشى منه) لم ترد على هذه التصرفات الامريكية الوحشية والحمقاء بالمثل، ولم تلجأ إلى الأساليب القذرة بقتل المدنيين أو تدمير ممتلكاتهم، بل ركزت فى كل ضرباتها على مهاجمة الاهداف العسكرية أو القوات العسكرية الأمريكية، لأنهم أدركوا أن النصر لا يمكن أن يتحقق بقتل الناس –أى ناس والسلام– بل يتحقق الانتصار بمراعاة حرمة المدنيين واحترام حقهم فى الحياة، ولذلك انحنى العالم كله احتراما للمناضلين الفيتناميين وساندهم ووقف معهم حتى تحقق لهم النصر والاستقلال، واحتقر الامريكيين الذين ارتكبوا جرائم الحرب دون رادع من ضمير أو اخلاق..

وعلى مدى التاريخ الانسانى لم نسمع أو نقرأ عن مناضل حقيقى قام نضاله على احتجاز المدنيين كرهائن ابرياء ولا ذنب لهم فى سبيل الوصول لهدفه، ولم نعرف أبداً أن مناضلا حقيقيا قد حارب أعداء بلاده بوضع قنبلة فى سينما أو فى سوق قد تنفجر فتقتل العشرات أو المئات من المدنيين الابرياء

ومنهم الأطفال والنساء، والمناضل الحقيقى يحارب جنود الاحتلال ويدمر المعسكرات الحربية، وأبداً لا يقود السيارات الملغومة ولا يحزم نفسه بالديناميت ليدخل فى منتجع سياحى أو مكان عبادة أو تجمع رياضى. فيفجر سيارته أو يفجر نفسه بين الأبرياء الذين لا ناقة لهم ولا جمل فيما يريده أو يسعي إليه، واذا كان بعض من يفجرون أنفسهم بين التجمعات البشرية الآمنة والبريئة يعتقدون ويظنون أنهم بذلك يكسبون رضا الله ويدخلون الجنة باعتبارهم من الشهداء والصديقين، فقد كذب ظنهم وخاب مسعاهم لأن الشهداء الحقيقيين كانوا يحاربون من يحاربهم مدافعين عن دينهم أو عرضهم أو أرضهم ضد الاعداء الذيَن يهاجمونهم ويقاتلونهم دون أن يستديروا لقتل أسرهم وأهلهم ممن لا يشاركونهم القتال... ويعن لى هنا سؤال: أظن أن أى شخص يفجر نفسه بسيارة ملغومة أو بحزام ناسف يعتبر قاتلا لنفسه أى منتحراً، فهل يدخل المنتحر الجنة ؟! أعتقد لا يدخل المنتحر الجنة، فكيف يدخلها من يفجر نفسه ليقضى على حياته وحياة غيره من الأبرياء معه ؟!!! انه سؤال يجب أن يركز عليه رجال الدين -فى كل دين- ليعيدوا الشباب أعمى القلب

والعقل الى رشده ويمنعوا ذهابه بلا وعي وراء خرافات وأكاذيب من يوهمونهم بالضلال باسم الدين وبالفناء باسم الخلود...

المناضل الحقيقي اذن يحب الحياة ويدافع عن الحياة الكريمة ضد أعداء الحياة وأعداء الكرامة، ويحارب أعداءه الحقيقيين دون أن يأخذ فى طريقه النساء والأطفال والمدنيين الابرياء. المناضل الحقيقى يدمر دبابات ويحرق الاسلحة التى يستخدمها أعداؤه ويقتل الجنود والعسكريين الذين يحتلون بلاده ويضايقون أهله ويسرقون خيراته... أما هؤلاء الذين يدمرون المنازل والمدارس ووسائل المواصلات ويحرقون المصانع والاسواق، ويقتلون الأبرياء الذين لا يعرفونهم فلا يمكن أن يكونوا من المناضلين بل هم ارهابيون وقتلة..

إن المناضلين من أصحاب القضايا القومية يحترمون الانسانية ويدافعون عن العدالة والحرية ويتعاملون مع أعدائهم بشرف عسكرى ورجولة ومبادئ سامية ولذلك يكون النصر حليفهم والحرية والكرامة من حقهم وتخلد ذكراهم وتحكى بطولاتهم حتى اذا استشهدوا... أما القتلة والإرهابيون الذين يحتقرون الحياة ويستصغرون الانسانية

ويقتالون الابرياء من الذين لم يحاربوهم فإنهم الخاسرون، ومصيرهم الأخير هو الهزيمة والعار، وجهنم القرار وبئس المصير، ولا يبقى منهم إن بقى إلا أعمالهم الشيطانية الخسيسة وتصرفاتهم المخجلة والدنيئة. خلاصة كل هذا الكلام: أن المناضل الحقيقى صاحب قضية وطنية وانسانية لا يمكن أن يكون ارهابيا مهما كانت الاسباب ومهما كانت الضغوط.. وأما الارهابى فهو مجرد قاتل ومجرم يبحث عن شهرة ومال ومكاسب شخصية يحققها لنفسه أو للجماعة والعصابة التي ينتمى إليها، والمناضل سيدخل الجنة شهيداً إن قتل فى سبيل قضيته العادلة، والارهابى سيدخل جهنم جزاء ما صنعت يداه حتى وإن خدعه زعماؤه وصوروا له أن ما يفعله هو جهاد فى سبيل الله والدين والوطن، فالجهاد لا يمكن أن يكون بقتل الأبرياء والمسالمين.. فمتى يفيق الغافلون؟!!

ولأننا هنا وفى هذه الصفحات القليلة: نحاول عرض ألحرب الارهابية القذرة بإيجاز واختصار- مع وعد بمحاولة تناول هذا الموضوع بكل جوانبه وبجميع تفاصيله في كتاب

آخر قائم بذاته بإذن الله- فإننا سنلخص كل ما يجب وما يمكن أن يقال فى رؤوس موضوعات بقدر المستطاع:

من تاريخ الارهاب...

فى بداية صفحات هذا الكتاب: قلنا إن أول حرب فى التاريخ الانسانى هى الحرب التى قتل فيها (قابيل) أخاه (هابيل)... والآن نستطيع القول بأن (قابيل) كان أول ارهابى فى العالم، لأنه قام على أخيه (هابيل) وقتله غيلة وغدراً..

وننتقل سريعا عبر صفحات التاريخ لنصل إلى عام (٧٣ق.م) حيث تكونت أقدم جماعة ارهابية عرفها التاريخ، وهى حركة ثورية يهودية سياسية ودينية كونها اليهود المتطرفون على شكل تنظيم سرى لمقاومة المحتل الرومانى وأطلق عليها (جماعة سيكارى)، وذلك لان أعضاءها كانوا يستخدمون سيوفا قصيرة يطلق عليها اسم (السيكار)، وكان عضو الجماعة يخفى سيفه القصير تحت ملابسه ويندس بين الزحام فى الأسواق والاحتفالات وحيثما وجدت التجمعات، ثم يطعن ضحاياه كيفما اتفق سواء أكانوا من اليهود أو الرومان، ثم ينتهز فرصة الهرج والذعر واهتمام الناس بالضحية المضرجة فى دمائها ليسرع بالهرب... ونحب ويجب

أن نوضح ونبرز هنا أن (جماعة سيكارى) كانت تعتمد فى تجنيد أعضائها وتحفيزهم على العمل معها على الدافع الدينى أساساً، ثم بعد ذلك الدافع الدينى تربطهم إليها بالجنس والمال، وهى نفس الدوافع الثلاثة الرئيسية التى تعتمد عليها كل المنظمات الارهابية فى تجنيد أعضائها وحتى الآن... والمخدرات للسيطرة عليهم... ونقفز مع الايام لنصل إلى العصر الاسلامى الوسيط، ولنتعرف على أشهر وأخطر جماعة ارهابية عرفتها منطقتنا وهى جماعة (الحشاشين)، وكان زعيمها (حسن الصباح) أو (شيخ الجبل) أحد الثائرين المتعصبين الذين نشأوا فى (خراسان)، ولما غضب عليه (نظام الملك) نفاه إلى مصر، وصادق الفاطميين الذين أعطوه الأموال والرجال وعاد بهم إلى وادى خراسان وأقام (قلعة الموت) التى لا يمكن لأحد الوصول إليها، وراح يجند الشباب اليافع الذين هم أقل من عشرين عاما، ووفر لأتباعه النساء والمخدرات موهما إياهم بأنهم يعيشون فى الجنة الصغرى أو جنة الدنيا، وأنهم إذا أطاعوه ولبوا طلباته ونفذوا أوامره فإنهم سيذهبون للجنة الكبرى أو جنة الآخرة التى وعد الله بها الشهداء والصديقين !! وبعد أن انتقم (حسن الصباح)

من عدوه الأول (نظام الملك) وقتله، تحول إلى قوة غشيمة وسيف مصلت على رقاب كل الحكام والامراء المحيطين به، الذين يجب أن يخضعوا لأوامره ويرسلوا له كل ما يطلبه من أموال تدعم سلطته وتزيد عدد أتباعه وتضاعف قوته.. ويذكر التاريخ أن الصليبيين قد استخدموهم فى الصراع بينهم وبين بعضهم أو بينهم وبين الحكام والأمراء المسلمين، حتى أن (الحشاشين) قد حاربوا (صلاح الدين) أثناء حروبه ضد الصليبيين وحاولوا اغتياله أكثر من مرة ولكنهم فشلوا...

وقد انتقلت فكرتهم وتعاليمهم وطريقة تنظيمهم وحياتهم مع الصليبيين العائدين إلى أوربا، حيث تكونت جماعة شبيهة بهم هى جماعة (فرسان الهيكل) التى تكونت فى القدس سنة ١١١٨م أولا ثم انتقلت وانتشرت فى كل أوربا بعد ذلك.

وبعد مرور كل هذه السنين، فما زالت اسئلة كثيرة تطرح عنهم وتدور من حولهم دون أن يتوصل أصحاب هذه الاسئلة لاجابات اكيدة لها: ما هو الدين الذى آمنوا به ؟ هل اعتنقوا الاسلام سراً ؟ كيف تطابقت تعاليمهم مع الحشاشين ؟ كيف اعتمدوا مثلهم على الجنس والمخدرات ؟! وأخيرا عندما هددوا الملك فيليب ملك فرنسا وأعلنوا عزمهم على احتلال باريس،

قام الجيش الفرنسى بالقبض على الجماعة كلها وحكم على اعضائها بالكفر والهرطقة وتم احراقهم جميعا بالنار...

وما دمنا فى فرنسا، فيجب أن نطل إطلالة سريعة على كتاب (تاريخ الارهاب) الذى أعده الفرنسيان (جيرارشاليون، آرنوبلين) ونشراه سنة ٢٠٠٤م، حيث ذكر الكتاب أن ظاهرة الارهاب الحديث أو المعاصر قد اخترعتها الثورة الفرنسية ١٧٩٣م، حيث قامت بنشر الرعب ضد الملكيين فى كل الأقاليم الفرنسية، ورغم أنه كانت سياسة الدولة وحكامها الثوريين إلا أن الذين قاموا به (الارهاب) هم أفراد الشعب الفرنسى الذين كونوا منهم مجموعات تطارد فلول الملكيين والاقطاعيين وكل من يثبت أو حتى يظن بأن له صلة بهم أو يتعاون معهم، فيقتلونهم ويمثلون بهم ويحرقون ممتلكاتهم أو يستولون عليها.

وكانت هذه الجماعات الثورية الشعبية هى أول من أطلق عليه اسم «الارهابيين»، وقد دخلت الكلمة فى القاموس الفرنسى لأول مرة بواسطة الاكاديمية الفرنسية سنة ١٧٩٨م ثم أخذتها عنها اللغات الأخرى ..

وقبل أن نخرج من رحاب التاريخ، تعالوا نستعرض أهم المنظمات الارهابية فى العالم وأخطر عملياتها الارهابية التى قامت بها، لقد كان عدد المنظمات الارهابية فى العالم سنة ١٩٧٠م حوالى (٦٠) منظمة معروفة، وفى سنة ١٩٨٠م- فى خلال عشر سنوات فقط- قفز العدد الى (١٢٥) منظمة معروفة، إلى جانب عشرات أو مئات الجماعات والمنظمات غير المعروفة، ورغم تعدد المنظمات الارهابية واختلافها وتنوع أساليبها وطرق مزاولة نشاطها واتجاهاتها، تبقى حقيقة واحدة ورئيسية ولا يختلف عليها اثنان، وهى أن الارهاب شوكة سوداء دخلت في قلب العالم وتسبب له الكثير من الآلام والمعاناة، ومن الصعب اخراجها والتخلص منها بسهولة وبدون ضحايا... والى جانب هذه الحقيقة الموجعة يبقى واقع يقول: إن الارهاب يزداد فى العالم سنة بعد سنة ويوما بعد يوم، والارقام التالية قد توضح وتؤكد ذلك: ففى سنة ١٩٧٠م حدثت (٢٩٥) حادثة ارهابية معلنا عنها تقريبا، وفى سنة ١٩٨٥ وصل عدد الجرائم الارهابية المعلن عنها إلى (٢٨٠٠) عملية تقريبا.. وفى الاحصاءات العامة والتقريبية أنه فى الفترة من سنة ١٩٧٠م وحتى سنة ١٩٨٥م حدثت (٢٢ألف)

جريمة ارهابية نتج عنها قتل (٤٠ألف) قتيل وجرح (٦٠٠) ألف جريح بإصابات متنوعة، وقد تنوعت العمليات الإرهابية ما بين هجوم بالقنابل (١٠ آلاف)، وتدمير منشآت(٦ آلاف)، واغتيال أشخاص (٣آلاف)، وعمليات اختطاف (٧ آلاف)، واختطاف طائرات (١٧٠عملية) وبث ألغام (١٤٠عملية)... ومن أهم وأشهر المنظمات الارهابية المعروفة فى العالم:

١- منظمة القاعدة ومقرها الرئيسى افغانستان وقائدها (أسامة بن لادن) و(أبو مصعب الزرقاوى).

٢- منظمة الحقيقة المطلقة ومقرها اليابان وزعيمها المهووس الدينى (شوكو أساهارا)...

٣- الألوية الحمراء الايطالية.

٤- منظمة إيتا الاسبانية.

٥- بادر ما ينهوف الالمانية.

٦- منظمة ١٧نوفمبر اليونانية.

٧- جبهة القوات المسلحة الثورية (فارك) فى كولومبيا.

٨- الجيش السرى الارمنى، فدائيو العدالة.

٩- حزيران الأسود، ١٥ أيار (الفلسطينيتين).

١٠- منظمتا (ليحى) و(أرجون) الاسرائيليتين.

١١- جماعات (الجهاد، التكفير والهجرة، الناجون من النار) وغيرها من الجماعات التى ظهرت وعملت فى مصر...

١٢- بعض المنظمات والجماعات الارهابية التى تكونت وانتشرت فى كل الدول العربية تقريبا خلال السنوات القليلة الماضية... وبعد استعراض أهم المنظمات الارهابية، نعرض لأهم الحوادث والجرائم الارهابية فى مصر والعالم:

١- مقتل سائح بريطانى قرب ديروط فى (١٩٩٢/١٠/٢١)...

٢- انفجار قنبلة فى مقهى بالقاهرة قتلت (٣) وجرحت (١٩)شخصاً منهم بعض الاجانب (١٩٩٣/٢/٢٦)...

٣- اصابة أتوبيس سياحى بقنبلة فى منطقة الاهرام تقتل مصريين وتجرح (١٥) بينهم سائحان بريطانيان (١٩٩٣/٦/٨)...

٤- مقتل امريكيين وفرنسى وايطالى وجرح آخرين فى هجوم شنه (مختل عقليا) على فندق سميراميس بالقاهرة وقبض على الجانى وتم ايداعه مستشفى الامراض العقلية لكنه يهرب ويهاجم أتوبيس سياحى قرب المتحف المصرى بقنبلة (١٩٩٣/١٠/٢٦)...

٥- مقتل ١٨ سائحا يونانيا واصابة ١٤في هجوم على فندق اوربا قرب الأهرام شنته الجماعة الاسلامية (١٨/٤/١٩٩٦)...

٦- مقتل ٩ ألمان وسائق سيارتهم بقنبلة بالقرب من المتحف المصرى (١٨/٩/١٩٩٧). «انظر الحادث رقم ٤».

٧- مقتل ٦٢ شخصا منهم ٥٨ سائحا بعد هجوم الجماعة الاسلامية عليهم بالأقصر (١٧/١١/١٩٩٧).

٨- مقتل فرنسيين وامريكى والارهابي منفذ الهجوم في قلب مدينة القاهرة (٧/٤/٢٠٠٥) .

٩- مقتل شخص واحد وجرح ٨ فى هجوم نفذته امرأتان بالقرب من المتحف المصرى (٣٠/٤/٢٠٠٥).

١٠- مقتل ٤٩ شخصا وجرح ١٣٠ فى سلسلة انفجارات بسيارات مفخخة فى شرم الشيخ (٢٣/٧/٢٠٠٥).

- وأما أشهر واكبر جرائم الارهاب على مستوى العالم فهى:

١- تفجير برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك (١١/٩/٢٠٠١)..

٢- انفجاران في جزيرة بالي الاندونيسية يقتلان ١٨٠شخصا ويجرحان المئات من السياح (٢٠٠٢/١٠/١٢).

٣- مقتل ١٩١ شخصا وجرح ٢٠٠٠ على الأقل في انفجارات نفذتها منظمة القاعدة بالتعاون مع منظمة إيتا الانفصالية (٢٠٠٤/٣/١١) .

٤- في شهر يوليو ٢٠٠٥م وقعت أربعة حوادث ارهابية متتالية خلال أقل من أسبوعين تقريبا وهي: تفجيرات لندن (٢٠٠٥/٧/٧)، تفجيرات غرب تركيا (١١، ٧/١٢) ، تفجيرات اسبانيا (٧/١٦/ ٢٠٠٥)، تفجيرات شرم الشيخ (٢٠٠٥/٧/٢٣).

وهذه كلها نماذج قليلة ومختارة لا نريد أن نزيد منها حتى لا نشعر القارئ العزيز بالحزن واليأس والخوف !

ولم نورد شيئا عن الحوادث الارهابية الكثيرة والكبيرة واليومية التي تحدث في مصر وفي عدة دول عربية شقيقة لأنها وحدها تحتاج الى مجلدات ومجلدات لمجرد احصائها فقط... مصرنا الغالية ونجاها من شر الإرهاب باللعين.

وتبقى كلمة حق ...

فإن الغرب كله اليوم يتهم الاسلام والمسلمين بالايمان بالارهاب والدعوة إليه وتشجيعه، وما من عمل ارهابى إلا وألصق لصقاً بالاسلام والمسلمين، وهنا نكتب كلمة الحق ونعلنها: يجب على كل انسان واعٍ ومثقف أن يرفض مبدأ (التعميم)؛ فليس معنى أن سكندرياً فاز ببطولة السباحة أن كل السكندريين من أمهر وأعظم السباحين، وليس معنى أن مسيحياً يشرب الخمر أن يكون كل المسيحيين سكيرين، وعليه فليس كل مسلم يقوم بإرهاب أن يكون كل المسلمين ارهابيين..

وكما يجب أن نرفض التعميم -أخذ المجموع بتصرف وعمل الفرد- فيجب علينا أن نفرق بين الدين وبين أتباعه، فالاديان كلها هى دعوات سماوية للحب والسلام والبناء وليست أبداً دافعا للكراهية وللحرب وللتدمير، وهنا يمكن أن نقول: الاديان كلها هى دين واحد يدعو للايمان بالله ومحبة الناس وجعل الأرض جنة مصغرة كمثال لجنة الآخرة... والاسلام يشارك غيره من الأديان فى الدعوة لهذه المبادئ السامية، وليس ذنبه ولن يكون أن يدعى بعض المتلفعين

بعباعته والزاعمين أنهم من المؤمنين به أنهم يقتلون ويدمرون باسم الاسلام أو من أجل الاسلام... الاسلام والمسيحية واليهودية وكل الاديان بريئة من الارهابيين والقتلة واللصوص والزناة والكذابين، وتتوعدهم جميعهم بنار الجحيم وبئس المصير... المؤمن الحقيقى بالاسلام وبكل الأديان يخاف الله ويخشى عقابه وناره، ولا يمكن أن يضر أحداً أو أن يرهب أحداً.. والمسلم الحقيقى هو من سلم الناس من يده ومن لسانه كما قال نبى الاسلام... والمسلم المؤمن بتعاليم الاسلام الحقيقى عليه أن يعرف الناس على الاسلام فإن آمنوا فلأنفسهم وإن رفضوا فعليهم، واذا تمسكوا بكفرهم فليس عليه أن يقتلهم بل أن يعاود شرح الاسلام لهم وعرضه عليهم دون أن يعاملهم بالعنف بل باللطف متذكراً دائماً أن (لا إكراه فى الدين) وأن الله هو الذى (يهدى من يشاء ويضل من يشاء)، وأن (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً)... أما هؤلاء الذين يفجرون أنفسهم بأحزمة الديناميت بين جموع الناس فإنهم لايمكن أن يدخلوا الجنة لانهم ليسوا بشهداء ولا مجاهدين، بل هم قتلة وارهابيون قتلوا الأبرياء من الأطفال والنساء ثم انهم من المنتحرين، والجنة لا يدخلها القتلة ولا المنتحرون...

الفهرس

المؤلف: ملاك ميخائيل شنودة عبدالله

– مواليد مدينة دمنهور (محافظة البحيرة) سنة ١٩٤٧.

– نشأ فى الاسكندرية، وهو يقيم فيها بعد أن تجول مع والده (ميخائيل شنودة) فى مدن مصر أثناء بناء السد العالى بحكم وظيفته بمصلحة المساحة المصرية...

– حصل على بكالوريوس التجارة/ شعبة المحاسبة من جامعة الاسكندرية سنة ١٩٧٥ .

– كان مصاباً بالشلل منذ طفولته، وفى عام ١٩٦٨ أصيب فى حادث آخر، وفى عام ١٩٩٢ أصيب بجلطة أقعدته تماماً عن الحركة.

– حصل على جائزة الدولة للأدباء الشبان واستلم الجائزة من الرئيس السادات فى عيد الفن والثقافة سنة ١٩٧٩ .

– صدرت له عدة كتب منها :

١– لؤلؤة من الأعماق– مجموعة قصص– ١٩٧٦م.

٢– التصادم – مجموعة قصص – ١٩٨٢م .

٣– يحدث لكل الناس – مجموعة قصص – ١٩٨٦م.

٤– المرأة والحب والحياة فى إبداعات فتحى الإبيارى.

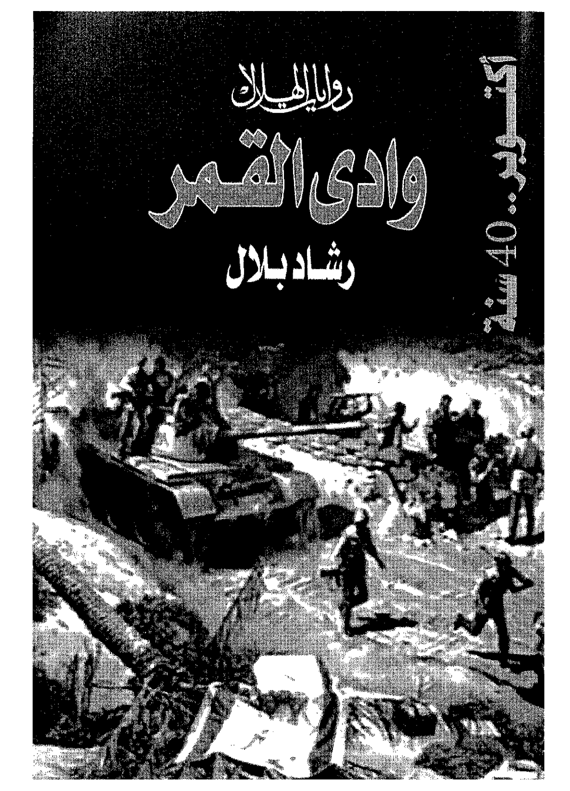
هذا الكتاب

ظلت الحروب والصراعات بين الأمم والشعوب هى الهاجس والخوف الأكبر عبر التاريخ منذ حكاية هابيل وقابيل حتى اليوم.

ومما زاد من وطأة الحروب وخطورتها على البشر ذلك التطور التقنى الكبير فى أسلحة ومعدات الحروب.

وقد شهد العالم فى العقود الأخيرة تنامى ظاهرة الإرهاب التى تتستر تحت اسم الدين والتى لاتراعى حرمة :لدين أو لقيم أو أعراض وقد عانت منها مصر والأمة العربية كثيرا. منذ فترة ومازلنا نخوض معركة شرسة فى مواجهة الإرهاب المسلح فى مصر خاصة فى سيناء وبعض مناطق الجمهورية.

وقد رصد لنا مؤلف الكتاب تاريخ الحروب عبر العصور فى العالم وفى العالم العربى حتى نتذكر ونستخلص العبر والدروس من هذه المحنة الرهيبة.


روايات الهلال
وادى القمر
رشاد بلال
أكتوبر .. 40 سنة